الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعــة محمد لمين دباغين سطيف 02
كليـة العلـوم الاجتماعيـة و الإنسانيـة
قسم التاريــخ والآثار

مطبوعة الدعم البيداغوجي في مقياس:

تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

History of Sub-Saharan Africa

موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص تاريخ عام

من إعداد الدكتورة:
دعاشــي سمــيرة

السنة الجامعية:
2023-2022م

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢
ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا
لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥

سورة العلق، الآيات (1-5)

مقدمة

مقدمة:

يندرج مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ضمن تخصص الدراسات الإفريقية التي ظهرت حديثا في الجامعات الجزائرية، في وقت كانت هناك حركة دائبة في مختلف الجامعات العالمية لتقصي التاريخ الإفريقي واستجلائه، لذلك من الأهمية أن تساهم الأوساط الجامعية الجزائرية بالبحث في هذا المجال الفتي والخصب، لاسيما أن دول المشرق والمغرب العربي قد ساهموا على مرّ العصور في بناء حضارة إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي خاصة)، نتيجة الامتداد الجغرافي والبشري والاقتصادي والثقافي بين طرفي الصحراء بالنسبة لدول شمال إفريقيا والبحر الأحمر ومصر بالنسبة للمشرق الإسلامي .

إن السبب الرئيسي في تسليط الضوء على فترة العصور الوسطى، غرضه التعريف بالبعد الحضاري الإسلامي العالمي لممالك بلاد السودان، إنصافا للرجل الإفريقي وحضارته زمن الإشعاع الإسلامي في كل ربوع بلاد السودان، مقارنة بواقعهم الأليم الذي ألم بهم في الفترة الحديثة والمعاصرة، نتيجة الآثار السلبية للوجود الاستعماري الأوربي بالقارة، لاسيما إفريقيا جنوب الصحراء التي تعرضت لأبشع أنواع الاستغلال لثرواتها ومواردها الطبيعية والبشرية، فكانت سببا مباشرا في تخلف هذه القارة حضاريا، بعد أن كانت لها خصائص مماثلة لتلك الخصائص الحضارية في باقي قارات العالم قبل القرن الخامس عشر.

إن رغبتنا في إنصاف الرجل الإفريقي أولا، والمساهمة الجدية في إعادة كتابة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بطريقة موضوعية بعيدة عن التعصب والمغالاة، لهو الواجب المنوط بنا كمتخصصين في مجال الدراسات الإفريقية، لتصحيح ما شاب تاريخنا الإفريقي من تزييف ومغالطات دونت بأقلام غربية ،غرضها التغريب والتقليل من شأن الأفارقة، لهدف واحد ووحيد هو استنزاف خيراتها واستعباد شعوبها، لاسيما في الفترة الحديثة والمعاصرة.

ومن هنا نعطي قراءة جديدة مخالفة لتلك الدراسات الغربية سيما الفرنسية والإنجليزية منها، التي تنفي وجود دولة في تاريخ هذه الشعوب قبل الوجود الأوروبي بالقارة، لذلك جاءت محاور هذا المقياس لتغطية فترة الإشعاع الحضاري الإسلامي لممالك بلاد السودان الفترة الوسيطة، قبل التواجد الأوروبي بالقارة، لتوضيح كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية الوافدة من المشرق والمغرب العربي الإسلامي، في ظهور ممالك إسلامية قوية ببلاد السودان،ذات بعد حضاري إسلامي راق، ساهموا به في بناء الصرح الحضاري

العالمي. هذا الطرح له مضمون وأبعاد تاريخية وحضارية، ستعمل على إثراء خبرات الشعوب الإفريقية شمالها وجنوبها في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم.

فيما يلي نحدد الهدف العام للمقياس وأهدافه الخاصة:

الهدف العام للمقياس:

أن يكون الطالب في نهاية دراسته للمقياس قادرا على: معرفة وفهم كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية الوافدة من المشرق العربي الإسلامي والمغرب العربي الإسلامي في ظهور ممالك إسلامية قوية ببلاد السودان ساهمت في بناء الصرح الحضاري العالمي قبل الاستعمار الأوروبي للمنطقة.

الأهداف الخاصة للمقياس:

1- أن يتعرف الطالب على المفاهيم الاصطلاحية وأقسام إفريقيا جنوب الصحراء.

2- أن يتعرف الطالب على الجغرافيا الطبيعية لبلاد السودان.

3- أن يميز الطالب بين شعوب بلاد السودان في أقسامه الثلاث الشرقي، الأوسط والغربي.

4- أن يوضح الطالب دور المشرق العربي ومصر في نشر الإسلام بالسودان الشرقي.

5- أن يوضح الطالب دور المغاربة في نشر الإسلام بالسودان الغربي والأوسط.

6- أن يوضح الطالب دور العنصر المحلي في نشر الإسلام بالسودان الغربي والأوسط.

7- أن يشرح الطالب كيف انتقلت مملكة غانة من الوثنية إلى الإسلام في ظل تطوراتها السياسية والحضارية بالسودان الغربي.

8- أن يشرح الطالب كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية في التكوين السياسي والتطور الحضاري لامبراطورية مالي الإسلامية في السودان الغربي.

9- أن يوضح الطالب كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية في التكوين السياسي والتطور الحضاري لمملكة السنغاي الإسلامية في السودان الغربي.

10- أن يوضح الطالب كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية في التكوين السياسي والتطور الحضاري لمملكة كانم بورنو الإسلامية في السودان الأوسط.

11- أن يوضح الطالب كيف شكّل الإتحاد بين ممالك الهوسا في التطور السياسي والحضاري لهذه الممالك في السودان الأوسط.

12-أن يفسر الطالب كيف تم الانتقال السلس للسلطة من ممالك مسيحية للنوبة إلى زعماء مسلمين ساهموا في التطور الحضاري لمملكة الفونج الإسلامية الناشئة بدايات القرن السادس عشر بالسودان الشرقي .

13-أن يفسر الطالب عوامل قوة مملكة أكسوم بين ممالك إفريقيا في السودان الشرقي.

المحور الأول

الموقـع والسكـان

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي حول مصطلحات القياس.

1. أصل التسمية.
2. أقسام بلاد السودان.

المحاضرة الثانية: الجغرافيا الطبيعية.

1. التضاريس والأنهار.
2. المناخ والغطاء النباتي.

المحاضرة الثالثة: الجغرافيا البشرية.

1. أصول الأفارقة.
2. شعوب بلاد السودان.

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي حول مصطلحات المقياس.

الهدف الخاص:

- أن يتعرف الطالب على المفاهيم الاصطلاحية وأقسام إفريقيا جنوب الصحراء.

الأهداف الإجرائية:

- أن يتعرف الطالب على المفاهيم الاصطلاحية لإفريقيا جنوب الصحراء بمفردك وبشكل دقيق.
- أن يميز الطالب بين الأقسام الثلاثة لبلاد السودان بشكل صحيح.

==========

تمهيد:

يعتبر مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، من المقاييس الجديدة في منهاج مقررات التعليم؛ سواء في الأطوار التعليمية الأساسية الثلاث أو التعليم العالي، لذلك فإن التعريف بمصطلحات هذا المقياس تعد في غاية الأهمية؛ حتى يتمكن الطالب من توظيف كل مصطلح في مكانه المناسب وفق حيزه الجغرافي و الفترة الزمنية الأصلح له، وهذا لتداخل مفاهيم هذه المصطلحات في المعنى والحيز الجغرافي والفترة الزمنية لظهور المصطلح، لاسيما أن محتوى المقياس يدخل ضمن حيز الفترة الوسيطة وليس الفترة الحديثة، لذلك فإن الفصل بين مصطلحي بلاد السودان وإفريقيا جنوب الصحراء، أمر ضروري مع تحديد أقسامه وحيزه الجغرافي.

1- أصل التسمية:

1-1- إفريقيا:

أول من أطلق مصطلح إفريقيا لهذا الجزء من العالم هم العرب، وهو مشتق من الفعل فرّق، حيث ظهر رأيان بشأن هذا المصطلح؛ بالنسبة للرأي الأول يذهب إلى القول بأن هذه التسمية جاءت بهذا المعنى كون هذا الجزء مفصول عن أوروبا وآسيا **(الوزان، 1983، صفحة 27)**، أما الرأي الثاني فيذهب حسب ياقوت الحموي إلى القول بأن المصطلح مشتق من اسم 'إفريقش' بن أبرهة بن الرائش؛ وقيل هو إفريقس بن صيفي بن سبأ يشجب بن يعرُب بن قحطان وهو الذي اختطها، كما ذكر أنه عندما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب كثير الماء، فأمر ببناء مدينة سميت باسمه 'إفريقية' ونقل إليها الناس.

وقيل أن إفريقية سميت بفارق بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، كون أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر حاز فارق بإفريقية **(الحموي، 1977، صفحة 228)**.

كما ذكر الحسن الوزان أن الاسم مشتق من اسم إفريقش ملك اليمن، الذي كان أول من سكن هذه المنطقة، بعد أن غلبه الملوك الآشوريون وطردوه ففرّ هاربا وحاز النيل وتابع إلى المغرب، فأصبح العرب يطلقون اسم المغرب على سائر إفريقيا **(الوزان، 1983، صفحة 27)**.

2-1 الصحراء الكبرى:

يذكر الجوهري في تعريفه لمصطلح الصحراء بأنها: **"جمع الصحاري صحروات وصحارى وهي مؤنث الصفة ويقال أصحر أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة" (ابن منظور، 1997، صفحة 16)**، كما تم تعريف الصحراء في معجم لسان العرب لإبن منظور على أنها: **"تلك المستوية في لين وغلظ دون القُف وقيل إنها الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه، وعرفها آخر بأنها؛ مثل ظهر الدابة الأجرد، ليس بها شجر ولا آكام ولا جبال ملساء" (ابن منظور، 1997، صفحة 16)**.

تقول الأطالس عن الصحراء الكبرى أنها؛ أكبر فيافي العالم قاطبة، معظم أجزائها يقع بين دائرتي عرض20° و35 ° شمالا، فهي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن جبال الأطلسي شمالا إلى بلدان الساحل جنوبا **(غيرستير، 1961، صفحة 9)**.

الخريطة رقم 01: خريطة توضيحية للصحراء الكبرى

المرجع المعتمد: (ويكيبيديا، 2022)

هذه التعاريف المقصود منها أية بقعة رملية جرداء ، لكن لا يمكن أن نطلقها على الصحراء الإفريقية الكبرى، كونها تضم عددا من الواحات والتجمعات السكانية والمدن الجميلة، وتتخللها آبار المياه العذبة على هوامش الطرق وتتلقى كميات متفاوتة من الأمطار، وبذلك فهي تختلف عن صحراء شبه الجزيرة العربية وباقي صحاري المكسيك واستراليا ، حيث يصف لنا الرحالة اسماعيل بوضربة أن الصحراء الكبرى على قدر امتدادها و جفافها، إلا أنها ليست سيئة كما كانوا يتوقعون، تقريبا في كل مكان يوجد الماء، فقط يكفي الحفر على عمق صغير لإيجاده على عمق 15 أو 16 مترا **(Derregagaix, 1882, pp. 303-304)**، و هو الأمر الذي أكده البكري والإدريسي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلادي، وفلاترز في ثمانينات القرن التاسع عشر.

3-1 بلدان الساحل:

هو مصطلح عربي يُطلق على بلدان السَّهل، فترجمت إلى الفرنسية باسم سَاحل Sahel، ثم عُربت إلى كلمة الساحل، يقصدون بها الطرف الجنوبي لصحراء إفريقيا الشمالية، يتميز بوجود سهوب دغلة منقَّطة بأشجار شوكية (أكاسيا) ونجيليات أي منطقة السافانا الاستوائية في إفريقيا بين الصحراء الكبرى في الشمال وبلاد السودان في الجنوب.

تمتد بلدان السهل عبر خطوط العرض في الجنوب، الوسط وشمال إفريقيا، وبين المحيط الأطلسي غربا والبحر الأحمر شرقا، فتضم أجزاء من شمال السنغال وجنوب موريطانيا، وسط مالي، شمال فولتا العليا، أقصى جنوب الجزائر، النيجر، أقصى شمال نيجيريا، وسط التشاد، وسط وجنوب السودان وشمال إريتريا **(بيار، 2002م، صفحة 441)**.

الخريطة رقم 02: خريطة توضيحية لبلدان الساحل

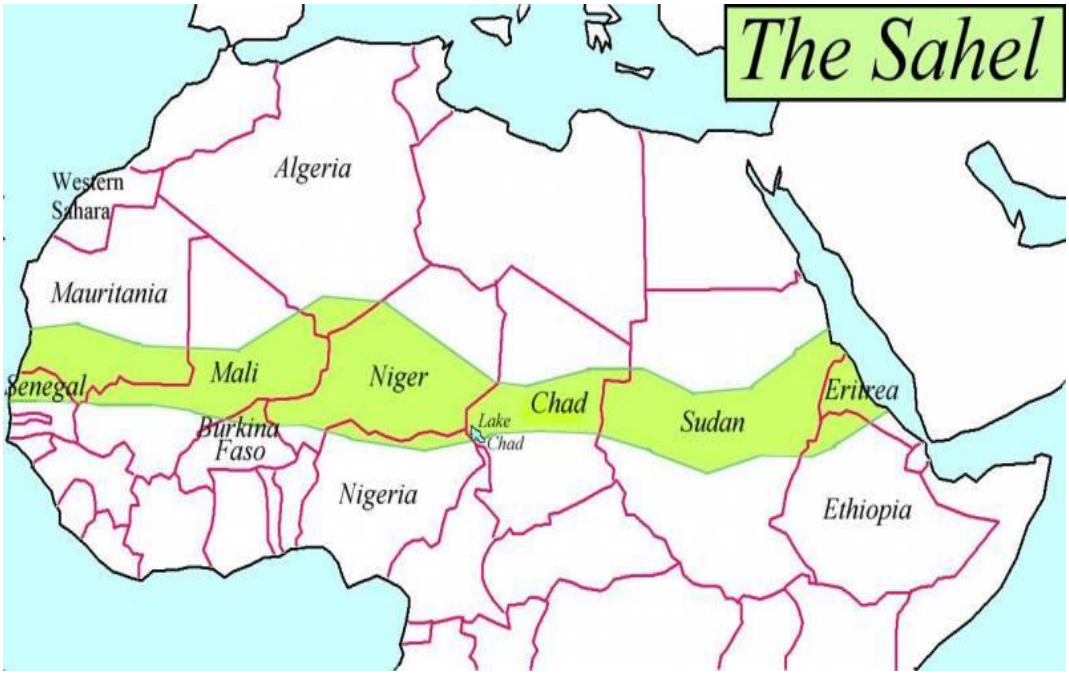

المرجع المعتمد: (معلومات، 2022)

4-1 إفريقيا جنوب الصحراء:

إفريقيا جنوب الصحراء هي تلك المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، حيث يقسم بعض المؤرخين قارة إفريقيا إلى قسمين رئيسيين هما؛ إفريقيا شمال الصحراء وإفريقيا جنوب الصحراء، والمقصود بالصحراء هنا هي الصحراء الكبرى التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، تقع في شمالها الدول العربية الإفريقية منها المغرب الأقصى، الجزائر، تونس، ليبيا و مصر **(حوتية، الصفحات 1-2)**.

أما الدول الواقعة جنوب الصحراء؛ فتتمثل باقي دول التي تضم هذا القسم الجغرافي من القارة إلى غاية الحدود الجنوبية لدولة جنوب إفريقيا ومدغشقر، وهذا حسب تعريف منظمة الأمم المتحدة، بالرغم من أن هناك خمسة دول عربية واقعة في جنوب الصحراء وهي جيبوتي، الصومال، السودان، جزر القمر و موريتانيا، إلا أنها تدخل ضمن دائرة دول إفريقيا جنوب الصحراء، احتسابا للون البشرة الغالبة على السكان.

هذا المصطلح الذي انتقده البروفيسور هربرت ايكوري، الذي اعتبر المصطلح يشير ضمنيا إلى دلالة لغوية للدونية، من خلال استخدامهم لعبارة تحت أو أسفل، والتي يرونها أنها بقايا لغوية للاستعمار الأوروبي **(الزناتي، 2022)**.

الخريطة رقم 03: خريطة لحدود إفريقيا جنوب الصحراء

المرجع المعتمد: (ويكيبيديا، إفريقيا جنوب الصحراء، 2022)

5-1 بلاد السودان:

إن أول من أطلق لفظ بلاد السودان على المناطق الواقعة جنوب الصحراء، هم الجغرافيون العرب في الفترة الوسيطة نسبة للون البشرة عند سكان تلك المناطق الواقعة بين الصحراء الكبرى وشمال خط الاستواء عند الدرجة 5°، تمتد حدوده الشمالية على الخط الوهمي الذي ينحني ويتعرج من بدايته عند مصب نهر السنغال ويمر إلى الخرطوم، بينما يمتد خط الحدود الجنوبية في سواحل غينيا على طول خط عرض 5 شمالا حتى الحدود الإثيوبية **(الفيتوري، 1998م، صفحة 18)**.

الخريطة رقم 04: خريطة لحدود بلاد السودان

2- أقسام بلاد السودان:

لقد وردت عدة كتابات للمؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب حول جغرافية بلاد السودان؛ حيث أتى ابن حوقل على ذكر حدود بلاد السودان فقال؛ يحيطها من الغرب البحر المحيط ومن الشمال ينتهي إلى المغرب و حدا له بينه و بين أرض مصر **(ابن حوقل، 1992، صفحة 24)**. كما لو أنه يقسم بلاد السودان إلى قسمين؛ السودان الغربي والسودان الشرقي.

في حين أطلق البكري كلمة السودان في القرن الحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة شرقا **(البكري، د.ت، صفحة 837)**. ويشاطره الرأي القلقشندي الذي قال بأن بلاد السودان يحدها من الغرب المحيط الأطلسي ومن الجنوب خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم ومن الشمال براري ، تمتد ما بين مصر وبلاد عرب المغاربة **(القلقشندي، 1987، صفحة 275)**.

في حين أطلق الإدريسي كلمة السودان؛ على كل المناطق التي يمر عليها نهر النيل فقال: " **القسم الثاني من النيل يمر من جهة المشرق إلى أقصى المغرب وعلى هذا القسم من النيل جميع بلاد السودان** " **(الإدريسي، د.ت)**.

كما نلاحظ أن هذه التعريفات تشمل بلاد السودان بصفة عامة من الغرب إلى الشرق، الأمر الذي يمكن تأكيده هو أن مصطلحات السودان الغربي والأوسط والشرقي لم يظهر إلا في مراحل متأخرة من التاريخ، أي خلال القرن التاسع عشر ، عندما تم اكتشاف أن منابع نهري النيل والنيجر منفصلان عن بعضهما البعض، فلم يكونا نهرا واحدا كما كان يُعتقد من قبل، هذا ما جعل جلّ الجغرافيين والمؤرخين والرحالة قبل هذا القرن يطلقون عبارة بلاد السودان؛ على منطقة واسعة جدا تمتد من جنوب الصحراء الكبرى حتى خط الاستواء، ومن المحيط الأطلسي وإلى بلاد النوبة على نهر النيل .

لذلك ظهرت تقسيمات لهذا الفضاء الواسع لاعتبارات سوسيو- سياسية وليس جهوية؛ لأنّهم لم يتعاملوا مع الفضاء الجغرافي مجرّداً عمّا يتجسّد فيه من تشكيلات بشرية وجغرافية، بل تم تقسيم المنطقة حسب الممالك التي ظهرت فيها؛ فيتحدّثون عن غَانَة، تكرور ، مالي والسنغاي التي نشأت في السودان الغربي، ومملكة كانم بورنو، وممالك الهوسا الواقعة في وسط السودان وممالك البجة، الحبشة والنوبة في شرق السودان.

تحسبا لهذه الاعتبارات يمكن تحديد المجال الجغرافي للسودان الغربي، الأوسط والشرقي على وجه التقريب كما يلي:

1-2 السودان الغربي:

يضم السودان الغربي؛ نطاقا واسعا يشمل حوض نهر السنغال وغامبيا، بوركينا فاسو، مالي، النيجر الغربي والأوسط، أي يقارب خط الطول (10°) شرقا، الملامس لجبال الأهقار الشرقية بالجزائر.

2-2- السودان الأوسط:

حسب الدراسات التاريخية المعاصرة؛ يقع السودان الأوسط في المناطق المحيطة بحوض بحيرة تشاد، وتشمل حاليّاً أجزاء من دول: تشاد والنيجر الشرقي ونيجيريا والكاميرون وأجزاء من إفريقيا الوسطى.

2-3- السودان الشرقي:

حسب الكتابات التاريخية الحديثة؛ تم تحديد الموقع الجغرافي للسودان الشرقي، من جنوب مصر عند منطقة أسوان، إلى غاية خط عرض 10° و 11° شمالا لخط الاستواء، يحده من الشرق البحر الأحمر والمحيط الهندي ومن الغرب دارفور.

❖ النشاط الإجمالي للمحاضرة الأولى:

السند :

من أولى الإشكاليات التي تصادف الطالب في دراسة هذا المقياس، هي الخلط بين مصطلحي "إفريقيا جنوب الصحراء' و'بلاد السودان"، من حيث التشابه في المعنى العام للمصطلحين والاختلاف في الفترة الأصلح لاستعمال كلا المصطلحين والتحديد الجغرافي لهما.

التعليمة:

من خلال ما إكتسبته من معارف حول أصل التسمية لإفريقيا جنوب الصحراء وبلاد السودان، قم بضبط تعاريف المصطلحين وتحديد الفترة الزمنية الأصلح لاستعمالهما، مع تحديدهما على الخريطة الصماء للقارة الإفريقية.

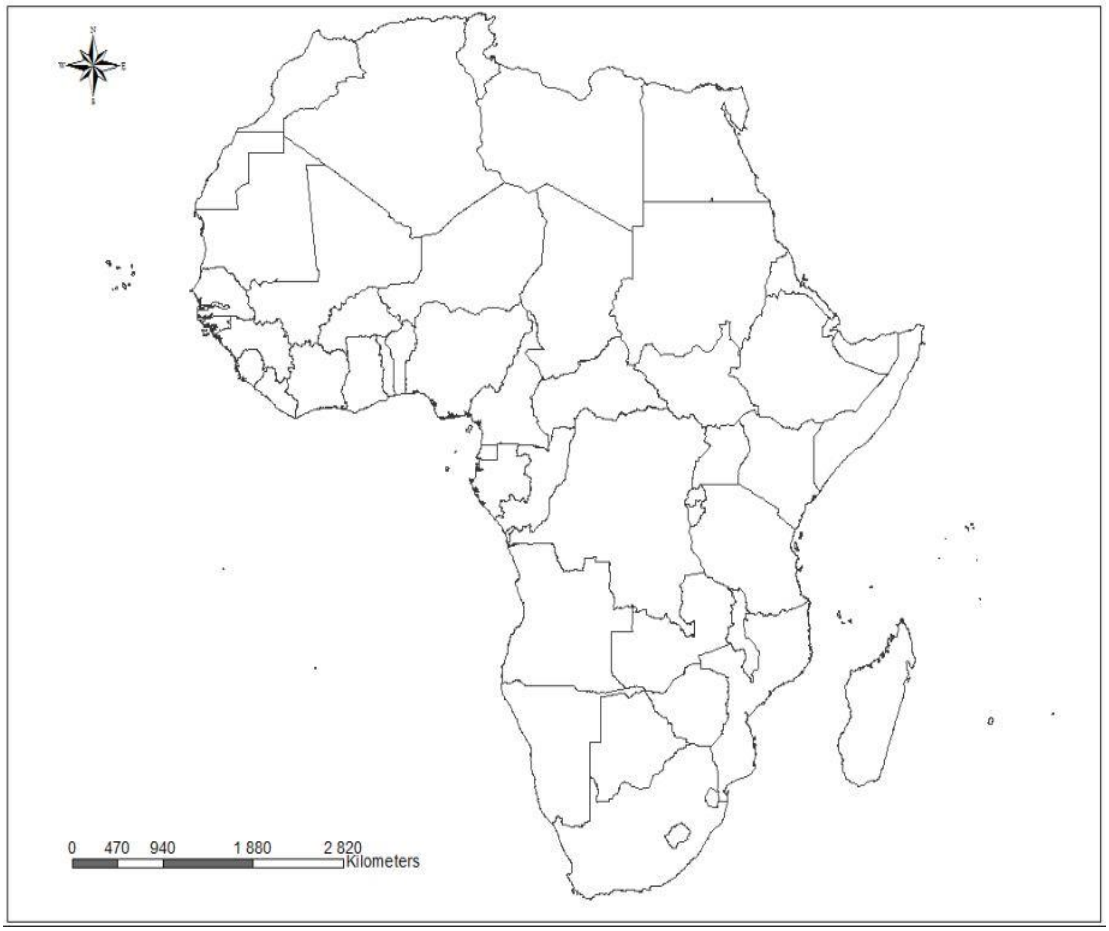

المحاضرة الثانية: الجغرافيا الطبيعية لبلاد السودان.

الهدف الخاص:

- أن يتعرف الطالب على الجغرافيا الطبيعية لبلاد السودان.

الاهداف الاجرائية:

- أن يتعرف الطالب على تضاريس وأنهار بلاد السودان من خلال خريطة بمفرده وبدقة.
- أن يتعرف الطالب على طبيعة المناخ والغطاء النباتي لبلاد السودان بدقة.

==========

تمهيد:

البديهي في البحوث التاريخية؛ أن التعريف بالجغرافيا الطبيعية والبشرية للمجال الذي يتناولون فيه أحداثهم التاريخية أمر أساسي، لأن الأرض هي مجال الإنسان الذي يصنع التاريخ، لاسيما وأن البنية الطبيعية والبشرية لبلاد السودان، تختلف بمختلف عناصرها، فمن خصوصيات هذه المنطقة أن بنيتها الطبيعية تفتقد للوحدة الفيزيوغرافية، كما تفتقد بنيتها البشرية للوحدة العرقية.

لذلك من الأهمية التعريف بخصوصية الجغرافيا الطبيعية والبشرية لبلاد السودان، لما لها من تأثيرات كبيرة على سير الأحداث التاريخية في المنطقة. في هذه المحاضرة سنحاول تغطية جوانب الجغرافيا الطبيعية للمجال المدروس.

1- التضاريس والأنهار:

1-1 التضاريس:

تختلف تضاريس هذا المجال الجغرافي من نطاق إلى نطاق، حيث نلاحظ أن البنية الطبيعية لبلاد السودان تختلف بمختلف عناصرها، بحيث تفتقد للوحدة الفيزيوغرافيا[1]، ففيها الصحاري الواسعة

[1] . **الفيزيوغرافيا:** هو علم دراسة الظواهر الطبيعية لسطح الأرض من حيث العوامل التي أدت إلى تشكيلها والعلاقة بين بعضها البعض، يفرق البعض بين الفيزيوغرافيا والجيمورفولوجيا، فبينما تكون الدراسة الأولى دراسة وصفية تكون الدراسة الثانية تحليلية. **ينظر:** عبد الكامل عطية، **التحولات السياسية والاقتصادية في السودان الغربي بين(1750 – 1914م)**، رسالة

والأودية الخصبة والسهول المنبتة، تضاريسها تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، وهي على أقسام من الشمال إلى الجنوب **(عطية، 2010، صفحة 11)**.

من موريطانيا غربا حتى البحر الأحمر شرقا، هناك حزام من الرمال الصحراوية تتخللها عدة تضاريس، منها سلسلة جبال عبر طريق سيغو، غاو، حجار، أحير، جبال أورار من الجهة الغربية **(الدالي، 1999، صفحة 12)**، ومن الجهة الشرقية نجد هضاب اثيوبيا.

إلى جنوب الشريط الصحراوي، يبدأ إقليم السافانا[1]، أين تزداد حشائش السافانا غزارة كلما اتجهنا جنوبا، عند الغابات المطيرة في الغرب والوسط، وفيما بين الغابات المطيرة والمرتفعات الإثيوبية يُشكل النيل مستنقعات كثيرة ينمو بها ورق البردي، وإذا اتجهنا نحو أعالي النيل نجد أنه يمس الحافة الشرقية للغابة المطيرة، وتنتشر هناك السافانا التي تمتد حتى إفريقيا الاستوائية والبحيرات الإفريقية العظمى **(ويرنر، د.ت، الصفحات 2-3)**، وباتجاه الغرب وعلى امتداد نهر الكونغو وساحل المحيط الأطلسي، يمتد حزام من الغابات الاستوائية من الغرب إلى الشرق طولها لا يتجاوز مائتي ميل، وفي الوسط تتخلله السافانا ما بين أكرا وبورتونوفو **(هوبكنز، 1998، صفحة 22)**.

كما تتخلله الكتل الجبلية لكل من الفوتاجالون والتوغو، الهضاب الليبيرية وهضاب نيجيريا الشمالية **(دعاشي، 2014-2015، صفحة 13)**، من الجهة الوسطى نجد سلسلة الداموا في الكاميرون التي تزيد عن 2.000م. عن السهول نجد السهل الساحلي بلاجوانته وأشرطته الرملية الممتدة من جزيرة شيربر في سيراليون إلى مصب النيجر، كما يبلغ هذا السهل أقصى ضيق له في ليبيريا و جنوب شرق غانا **(قداح، صفحة 4)**.

ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2010/2009، هامش رقم، 4، ص 11. **نقلا عن:** يوسف توني: **معجم المصطلحات الجغرافية**، دار الفكر العربي، د.م.ن، د.ت، ص 380.

[1] . **السافانا (Savana):** نوع من أنواع السهول التي تغطيها أعشاب ذات لون أصفر مائل للبني، بها أشجارها قليلة، تقع شمال أو جنوب خط الاستواء. كما عرفها جورج بيار على أنها فسيفساء من الغطاء النباتي الذي يتألف من النباتات المدارية و غير المدارية بصفة رئيسية. **للمزيد ينظر:**

- جورج بيار، **معجم المصطلحات الجغرافية**، تر. محمد الطفيلي، مر. هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 2002، ص 443.

الخريطة رقم 05: خريطة توضيحية للجغرافيا الطبيعية لبلاد السودان

2-1 الأنهار:

بالنسبة للأنهار التي تجري في بلاد السودان، هناك ثلاثة أنهار كبرى وهي النيل والنيجر والكونغو، بالرغم من أنها تعتبر مصدرا لحياة السكان الذين ينتشرون على ضفافها، إلا أن الملاحة فيها صعبة بسبب العوائق المختلفة من شلالات وجنادل وحواجز رملية وتقلبات فصلية في كميات مياهها **(ويرنر، د.ت، صفحة 5)**.

تعتبر بحيرة فيكتوريا وشلالات ريبون الواقعة في منطقة الأمطار الغزيرة على مدار السنة؛ هي مصادر النيل الأبيض، كما تعتبر بحيرة تانا هي مصدر النيل الأزرق، هذا وتعتبر كتلة الفوتاجالون مصدرا رئيسيا لأنهار السودان الغربي، نظرا لكثرة أمطارها و لتركيبتها الجيولوجية التي تسمح بتخزين المياه، إضافة إلى وجود هضبة بغينيا الليبيرية الواقعة في الجزء الجنوبي من الفوتاجالون، من هذه المناطق الجبلية تنبع أكثر أنهار السودان الغربي مثل نهر السنغال، النيجر وغامبيا، إضافة إلى وجود أنهار أخرى مثل نهر الكازامانس، أنهار الجنوب، نهر الداهومي والفولتا **(ذهني، 1988، صفحة 20)** يمكن ذكر أهمها:

1-2-1 نهر النيل:

يعد نهر النيل أطول الأنهار في العالم، حيث تطلق عليه شعوب إثيوبيا اسم أبنهي أي أبي الأنهار، وكان القدماء يعتقدون أنه أحد أذرع جيحون المنحدر من الفردوس الأرضي على حد تعبير مرمول كربخال، كون البحيرات التي يخرج منه تتكون من مياه الثلوج التي تسقط من جبال القمر، في حين يزعم آخرون أنه ينبع من الصحراء **(مرمول، صفحة 64)**.

لكون مصدر مياه النيل والفيضانات التي تصاحبه ظلت لغزا لقرون عدة، أين لقي هذا الموضوع اهتماما كبيرا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أين اكتشف جيمس بروس الأسكتلندي أنّ بحيرة تانا الواقعة شمال غرب إثيوبيا هي مصدر النيل الأزرق **(عوض، 1952، صفحة 15)**، في حين إكتشف أسبيك البريطانيّ بأنّ بحيرة فكتوريا وشلالات ريبون الواقعة في منطقة الأمطار الغزيرة طوال العام هي مصادر النيل الأبيض **(عوض، 1952، الصفحات 18-19)**، هذان النهران الأزرق والأبيض يتشكلان في الخرطوم بالسودان، ويبلغ طوله حوالي 6.650 كم، بمساحة تقدّر بـ 3.349.000 كم^2، ويشمل حوضه أجزاءً من تنزانيا، وجمهورية الكونغو، ورواندا، وبوبوندي، وكينيا، وأوغندا، والسودان، وإثيوبيا، وجزء من مصر.

2-2-1 **نهر الكونغو:**

يعد نهر الكونغو أو ما يعرف سابقا بنهر الزائير، من أغنى الأنهار في إفريقيا والعالم، من حيث تدفق المياه والأمطار الغزيرة طوال العام، وشعب الكونغو من أغنى شعوب العالم بالموارد المائية، فنصيب الفرد من المياه في الكونغو تصل إلى 34 ألف م^3 سنويا، بالإضافة إلى ألف مليار م^3 سنويا يضيع في المحيط دون الاستفادة منه.

ينبع هذا النهر من جنوب شرق الكونغو، يشمل حوضه عدة دول وهي: جمهورية الكونغو الديموقراطية، الكامرون، جمهورية إفريقيا الوسطى، الغابون وجزءا من غينيا، لهذا يعد ثاني أطول نهر في إفريقيا بعد النيل، كما يعتبر ثاني أكبر نهر من حيث مساحة الحوض والتدفق المائي بعد نهر الآمازون. هذا النهر العظيم بحجمه وتعقيده وكثرة قنواته، وتدفق مياهه السريعة عبر شلالاته التي تُمكن الدولة من توليد كهرباء تكفي القارة الإفريقية كاملة، حيث يبلغ طوله 4700 كلومتر، ولديه قوة هائلة في دفع الماء نحو البحر، حيث يدفع قرابة 41.700 طن من المياه في الثانية **(علي محمد، 2014م، الصفحات 157-158)**.

3-2-1 نهر النيجر[1]:

يعتبر ثالث أنهار إفريقيا من حيث الكبر بعد النيل و الكونغو **(الجمل و إبراهيم، 2002م، صفحة 29)**، ينبع من السفوح الشمالية لهضبة الفوتاجالون أقصى الجنوب الغربي، يمتد حتى الشمال الشرقي حيث تنبكتو **(ذهني، 1988، صفحة 20)**، في مساره يلتقي النيجر بروافد أخرى مثل نياتان و ميلو، وأخيرا يتصل بأهم روافده و هو نهر بنوي (Benoué)، لتلتحم مياههما إلى الجنوب و يصب في بحر دلتا **(حوتية، توات و الأزواد، صفحة 439)**.

يتكون في بدايته بجنوب باماكو من عدد من المجاري التي تنتشر في مساحات واسعة، مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية للنيجر، يتحول إلى بحيرة عظيمة في موسم الفيضان، و يسير حتى يصل تنبكتو، بعدها تتحد مجاريه و تتشكل ثنية عظيمة نحو الجنوب تسمى ثنية النيجر، تشمل كل من ساحل العاج، غينيا و داهومي، ليصب في المحيط الأطلسي **(ذهني، 1988، الصفحات 20-21)**.

2-2-1 نهر السنغال:

ينبع هذا النهر كذلك من هضبة الفوتاجالون في جنوب غينيا، يكوّن الحدود الطبيعية بين السنغال و موريتانيا **(فليجة، د.ت، صفحة 217)**، يتجه شمالا ثم غربا نحو المحيط الأطلسي **(ذهني، 1988، صفحة 24)**، و قد تكوّن في بدايته باتخاذه مجرى محددا له في الزمن الثالث، حين انحسر خليج السنغال و نتيجة تجمع الكثبان الرملية تم انحراف المجرى عن المصب نحو الجنوب، و قد عملت الرياح

---

[1] . **نهر النيجر:** لنهر النيجر عدة أسماء أكثرها شيوعا: جوليبا (Joliba) و تعني بلغة الماندينغو ' النهر العظيم' و قد أطلق المستعمرون الأوائل على مجموعة الأنهار المتصلة به اسم أنهار الزيت، لأن المنطقة اشتهرت بإنتاج أجود أنواع الزيوت. و قد تضاربت الآراء بخصوص منابع نهر النيجر و اتجاهه، فابن بطوطة شاهد النيجر يتجه نحو الشرق، و الحسن الوزان أكد بأن النهر يسير نحو الغرب، فظلت المشكلة حتى القرن الثامن عشر. ومن بين الرحلات التي أثبتت سير النهر من الغرب نحو الشرق ، نجد **منغو بارك (Mungo Bark)** الذي استطاع أن يصل إلى فكرة أن النيجر يتجه نحو الشرق و أن نهري السنغال و غامبيا يجريان غربا و هي غير متصلة بعضها البعض. **للمزيد أنظر:**

- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)**، ج4، تح، محمد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة و النشر و التوزيع، حارة حريك، ، ط1، د .ت، ص 269.
- الحسن الوزان بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا** ، ج2، تر، محمد حجي ،محمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1998م، ص 161.
- إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 20.

التجارية المنتظمة إلى جانب التيارات البحرية، على بناء كثيب ساحلي ضخم، يمتاز هذا النهر بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، و هو قليل العمق بنسبة ثلاثة أمتار **(فليجة، د.ت، صفحة 148)**، يصب في المحيط الأطلسي عند سانت لويس.

3-2-1 نهر غامبيا[1]:

من أفضل أنهار إفريقيا الغربية، لكونه صالح للملاحة في حدود دولة غامبيا، كما يعتبر المدخل الرئيسي لأفريقيا الغربية، إذ يخترق السافانا التي تعتبر أكثر مناطق إفريقيا ارتيادا **(ذهني، 1988، صفحة 24)**. بالإضافة إلى هذه الأنهار السالفة الذكر ، يوجد أنهار أخرى مثل نهر السالوم و الكازمانس، كما يوجد في منطقة خليج غينيا عدة أنهار هي باناما، كفالي و كوميه و هي جميعا تصب في خليج غينيا ، أما نهر الفولتا فيشبهُ في اتجاهه و خصائصه نهر النيجر **(الجمل، تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها، 1971م، الصفحات 16-17)**.

[1] . يعتبر نهر غامبيا وسيلة نقل رئيسية لمعظم الإنتاج الاقتصادي، لغامبيا لصلاحية الملاحة فيه، و لامتداده الشريطي للبلاد، بعرض قدره 24 كلم و طول 470 كلم ، مع العلم أن موقع القرى بعيدة عن النهر لوجود مستنقعات و غابات على ضفافه . **ينظر:**
- عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 19.

الخريطة رقم 06: خريطة توضيحية لأنهار إفريقيا

2- المناخ والغطاء النباتي:

2-1 المناخ:

يؤثر كل من الموقع الجغرافي والفلكي تأثيرا كبيرا على تنوع المناخ، باعتبار أن هذا الجزء يقع بين خط الاستواء جنوبا و مدار السرطان شمالا، أي ضمن المناخ المداري، فلا يوجد جزء تنخفض فيه متوسط الحرارة عن 18°، فالجزء الشمالي يتبع إقليم السافانا و حرارته أشد لقلة الأمطار مع تساقط أمطاره صيفا (**زبادية ،.، 2010، صفحة 10**). أما الجزء الجنوبي من الإقليم ضمن المنطقة الاستوائية التي تتميز بمتوسط حراري مرتفع، مع نسبة رطوبة معتبرة وأمطار غزيرة طوال العام، مع وجود فصل جاف يمتد من

ثلاثة إلى أربعة أشهر على الأجزاء المنخفضة من ساحل العاج ، ليبيريا، سيراليون و غينيا **(عطية، 2010، صفحة 21)**.

إلا أن المناطق الواقعة على أطراف الصحراء الكبرى، فإن خصائصها المناخية هي نفس خصائص المناخ الصحراوي، و هو مناخ جاف و شبه جاف يسود الجزء الأكبر من أراضيها **(فليجة، د.ت، صفحة 291)**، يتميز بجو بارد وجاف شتاءً و حار و جاف صيفا. فمثلا تنبكتو لا تقل حرارتها عن أربعين درجة مما جعل الرحالة جيـــرار رولـــفس(Gerard Rohlfs) يصف المنطقة بقوله: « **فالحرارة مرتفعة في فصل الصيف و تصل إلى أربعين درجة مئوية تحت الظل من الساعة التاسعة صباحا إلى الرابعة مساء بينما الليل فيه اعتدال الطقس» (Adolphe و Brun، 1866، صفحة 102)**. الملاحظ أن درجات الحرارة تزداد ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الداخل، و كذا شمال الإقليم خاصة في فصل الصيف ، كما تنخفض درجات الحرارة في فصل الشتاء **(قداح، صفحة 8)**.

تعتبر بلاد السودان إقليما فريدا من نوعه؛ لكون نطاقات المطر تسير موازية للدوائر العرضية، ففي إقليم الجنوب مثل أجزاء من غينيا، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، حوض الكونغو الأوسط، دلتا النيجر وساحل الكمرون، تسوده أمطار طوال العام ، حيث تصل إلى 4.000 ملم سويا، وتتناقص كمياته كلّما اتجهنا شمال هذه الدوائر؛ حيث تنخفض ما بين 2.000 ملم و4.000 ملم سنويا، ما بين دائرتي عرض 10° إلى 15° شمال خط الاستواء، كما يقل التساقط كلما اتجهنا شمالا، أين يلتقي هذا الإقليم بالنطاق الصحراوي الشبة الجاف، الذي تتراوح كميات التساقط به ما بين 100 و500 ملم **(عطية، 2010، الصفحات 14- 15)**.

هناك عوامل تتحكم في سقوط الأمطار؛ منها تعامد الشمس الظاهري و ما يتبعه من حركة التقاء الرياح بين المدارين بين الشمال و الجنوب، و بالتالي يسقط المطر نتيجة اصطدام الرياح بالجبال التي تواجهها ، مع العلم أن الأعاصير المدارية تؤدي إلى سقوط الأمطار، تفسير هذه الظاهرة يعود إلى موازاة الساحل لاتجاهات الرياح، إذ أن مياه السواحل تتميز بالبرودة من شهر جويلية إلى غاية سبتمبر، نتيجة التيار البحري الاستوائي المتراجع، يجذب المياه السطحية الدافئة، و بالتالي تحل محله المياه الباردة الآتية من أعماق الأطلسي، بالإضافة إلى انحراف الرياح الجنوبية في هذه المنطقة لتصبح رياحا غربية **(عطية، 2010، صفحة 15)**.

1-2 الغطاء النباتي:

يساير الغطاء النباتي الظروف المناخية للمنطقة، لا غرابة أن توزيع النبات الطبيعي في المنطقة يكون بصيغة معقدة، ذلك أن هناك فروقًا محليةً في مجموعات النباتات، هذه الفروق ذات أهمية كبيرة للسكان لأنهم يستدلون منها على نوعية التربة و عن موارد المياه الجوفية.

يُعد النبات الطبيعي نتاج تفاعل بين المناخ والتربة، لذلك كانت المناطق التي تسقط بها الأمطار طوال العام، تكثر فيها الأشجار الطويلة الدائمة الخضرة، تتركز بشكل كثيف في الجزء الجنوبي من بلاد السودان، مع الاتجاه شمالا تقل كمية الأمطار ويقل معها الغطاء النباتي، أين تنتشر السافانا الفقيرة وتتداخل مع الأشجار، كما تنتشر في هذا الإقليم حشائش فصلية ذات قيمة اقتصادية محدودة، على هوامش جنوب الصحراء، يوجد نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق، تسود فيه حشائش الإستبس التي تنمو في فترة المطر (عطية، 2010، صفحة 22).

المحاضرة الثالثة: الجغرافيا البشرية لبلاد السودان.

الهدف الخاص:

- أن يميز الطالب بين شعوب بلاد السودان في أقسامه الثلاث الشرقي، الأوسط والغربي.

الاهداف الاجرائية:

- أن يتعرف الطالب على أصول سكان إفريقيا بشكل عام.
- أن يميز الطالب بين شعوب بلاد السودان بدقة.

==========

تمهيد:

تبين الآثار والإثنوغرافيا لهذا الفضاء الجغرافي، أن التنوع البشري لهذا المجال يحتاج إلى كثير من التمحيص والفرز، وهذا بفعل الموجات المتعاقبة من الهجرات التي عرفتها المنطقة عبر العصور ، أين اختلط العنصر المحلي مع الوافدين إليه، سيما المجرى الأعلى للسنغال والنيجر، حيث كان لتوفر المنطقة على ثروات باطنية وسطحية، جلبت إليها المغامرين والطامعين فيها **(شعباني، محاضرات ، 2015، الصفحات 10-11)**، كما كان للتأثير المناخي دور في النوح البشري نحو هذه المناطق، ويبقى العامل الاقتصادي المحرك الرئيسي، في امتزاج الدماء البشرية بين ضفتي الصحراء، وكذا المناطق المجاورة لبلاد السودان من الجهة الشرقية.

بالإضافة إلى العامل التاريخي المتمثل في قيام أعرق الممالك والإمبراطوريات الإفريقية على ضفاف الأنهار، استقطبت عناصر من الشمال والجنوب، من الشرق والغرب، فكوّنُوا جاليات مختلفة أصبحت مع مرور الزمن عناصر يشكلون جزء من المجتمع السوداني **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 11)**.

لدراسة تاريخ هذه الموضوعات، فإنه من الواجب أخذ فكرة واسعة عن هذه الشعوب إلى أي مجموعات الإثنوغرافية تنتمي؟ وكيف كان توزيعهم الجغرافي؟ ما هي الأقاليم التي كانوا يسكنونها في قبل التدخل الأوروبي بالقارة؟.

1- أصل الأفارقة:

من خلال إطلاعنا على بعض الكتابات العربية التي أرخت لأصل الأفارقة، نلاحظ أنها لم تختلف كثيرا في أصل الأفارقة، فالبعض منهم قد أرجع أصلهم إلى السبئيين(أي الحميريين)، هؤلاء كانوا يعيشون في اليمن قبل أن يطردهم الأشويون أي الإثيوبيون منها، ومنهم من يرى أنهم ينتمون إلى الفلسطينيين، حيث هاجروا إلى إفريقيا حين طردهم الأشوريون.

أما الرأي الثالث فيدعي أن الأفارقة كانوا يسكنون بعض جهات آسيا، فحاربتهم بعض الشعوب المعادية لهم، ففروا إلى بلاد الإغريق الخالية آنذاك من السكان، ثم تبعهم الأعداء فعبروا بحر المورة واستقروا بإفريقيا ، وهذا فيما يتعلق بالأفارقة الذين استوطنوا شمال إفريقيا أي الجنس الأبيض **(الوزان، 1983، صفحة 35)**.

أما الأفارقة السود فإنهم جميعا من نسل كوش بن حام بن نوح، والملاحظ أنه مهما اختلفت ملامح ومظاهر الأفارقة البيض والسود، فإنهم ينتمون إلى نفس الأصل أي أنهم من نسل حام سواء كانوا بيضا أو سودا **(الوزان، 1983، الصفحات 35-36)**.

بالنسبة للسود؛ فإن المصادر العربية تسميهم بالسودان، وإليهم تنسب بلاد السودان، كما يعرفون باسم الزنوج، حيث يمثلون الأغلبية الساحقة لسكان منطقة السنغال الأعلى والنيجر، هذا العنصر كثير العدد ومختلط كثيرا فيما بينه، حيث ينسبهم المسعودي إلى الحاميين، وفي رواية له يذكر أن سيدنا نوح عليه السلام قد دعا على إبنه حام بتشويه الوجه وسواده، وأن يكون ولده عبدا لولده سام، فهمَّ بقتل زوجته التي أنجبت له هذا الولد الأسود، فمنعه سام وذكَّره بدعاء أبيه، فغضب ونزغ الشيطان بين الإخوة، فكان آخر أمر حام أن هرب إلى مصر، وتفرق بنوه ومضى نحو المغرب حتى انتهى إلى السوس الأقصى في أصيلا **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 14-15)**.

أما إبن خلدون فقد نسبهم إلى ولد حبش بن كوش بن حام، ويقسمهم إلى أقسام وهم: النوبيون وهم أبناء نوبة بن كوش بن حام، والزنوج هم أبناء زنجي بن كوش بن حام ، أما القسم الثالث فهم سائر السودان، الذي ينتمي إليهم سودان إفريقيا الغربية، حيث قال: « **السودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر إلى غانية» (ابن خلدون، 2000، صفحة 234)**.

المتفق عليه من روايتي المسعودي وابن خلدون، أن سكان بلاد السودان ينحدرون من ولد كوش بن حام ، وكوش هو أول إنسان ذو بشرة سوداء من ذرية نوح عليه السلام، لذا نلاحظ أن جل المصادر العربية تسمي السودان بالكوشيين، يبدو أن الموطن الأصلي للسودان عند هجرتهم الأولى إلى إفريقيا، كان سواحل المغرب الأقصى أي شمال الصحراء الكبرى، وهو ما أكدته الدراسات الحديثة التي استمدت مصادرها من روايات القبائل الموريتانية في منطقة ترارزة، مفادها أن الشعوب السوداء كانت تعيش شمال مواطنهم الحالية ونتيجة قدوم شعوب عمالقة بيض من سوريا ، خاضوا حروبا مع السودان فدفعوهم نحو جنوب الصحراء.

هناك روايات تقول بأن الهجرات نحو الجنوب بسبب طبيعي، وهو الجفاف الذي حل بالصحراء الكبرى، مما دفع بهذه الشعوب السودانية المزارعة تتوجه نحو نهري السنغال والنيجر بحثا عن مصادر الري **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 16)**. ثم أخذت في التوسع إلى غاية أن بلغت السودان الأوسط والشرقي.

عموما؛ التكوين الإثنوغرافي لبلاد السودان يشكل العنصر الأبيض والعنصر الأسود، حيث تسمي المصادر العربية العنصر الأبيض بالبيضان، وهم يشكلون فرعين أساسيين هما؛ الساميون، وهم أبناء سام بن نوح عليه السلام من عرب وسوريين وعبرانيين، هاجروا إلى المنطقة عبر مراحل متفرقة من التاريخ.

أما الحاميون ؛فيمثلون العنصر البربري والموريون وهم من أبناء حام بن نوح عليه السلام. إضافة إلى العنصر الأسود، الذين يمثلون الأغلبية الساحقة لسكان بلاد السودان، هذه العناصر كثيرة العدد ومختلطة كثيرا فيما بينها **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، صفحة 42، 45)**.

2- شعوب بلاد السودان:

1-2 شعوب السودان الغربي:

يشكل سكان السودان الغربي ثلاث مجموعات كبرى وهي؛ الماندي، السنغاي والفولان، أغلب هذه الشعوب اعتنقت الإسلام في فترات تاريخية متعاقبة، ويعود الفضل للمغاربة في نشر الإسلام بهذه المناطق، وينقسم سكان السودان الغربي إلى قسمين بيض وسود.

1-1-2 البيضان:

أ- الفلان:

يعرفون أيضا بالفولاني أو الفولوب، وهم شعوب سامية جاءت من المشرق، ينسب الفلاتة أنفسهم للعنصر العربي من القرشيين، من قبيلتي جهينة وتميم العربيتين في شبه الجزيرة العربية، حيث هاجرت القبيلتان إلى إفريقيا أين تتوفر المراعي، فسلكتا الطريق المؤدي إلى ليبيا، واستقروا في بداية الأمر بالمغرب الأقصى، ومنها نزحوا نحو السودان الغربي، واحتلوا أقاليم السنغال **(الفيتوري، 1998م، صفحة 28)**، ثم أخذوا ينتقلون إلى السودان الأوسط ، حيث قامت هجرات منهم ومن أولادهم وأحفادهم إلى غينيا في فوتاجالون، ومنها إلى مالي ثم فولتا العليا فالنيجر، حتى انتهى بها المقام في نيجيريا بمدينة غوبر **(بوفيل، 1988، صفحة 372)**، أين أصبحوا قوة بالمنطقة وقويت بوجودهم إمارات الهوسا التي استقروا بها، حيث أسسوا بها دولة سوكوتو من قبل عثمان دان فوديو **(الفيتوري، 1998م، صفحة 28)**.

هؤلاء الفلان لغتهم السودانية، وهم يمثلون أحد المجموعات الكبرى من القبائل الرعوية في السودان الغربي **(فيج، صفحة 31)**، ينتشرون ضمن أربع مجموعات أسياسية وهي: فلاتة منطقة مسينا، فلاتة منطقة غورما، فلاتة منطقة الساحل وفلاتة فولتا **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 13-14)**، والخريطة الموالية توضح لنا التوزيع الجغرافي لشعب الفلاني في السودان الغربي.

الخريطة رقم 06: خريطة توضيحية للتوزيع الجغرافي لشعب الفلاني

ب- الصنهاجيون:

هم شعب صنهاجة اللثام من البربر؛ سكنوا أقاصي الصحراء، حيث ابعدوا إلى تلك المناطق منذ عصور ما قبل الإسلام سكنوا بلاد البربر وبلاد السودان، وحسب المصادر العربية فإن الأهقار والأزجر يقطنها الطوارق منذ القديم، ينقسمون إلى عدة فروع أشهرها لمتونة وجدالة اللتان كانتا في صراع دائم حول رئاسة صنهاجة الصحراء **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، صفحة 51)**.

الخريطة رقم 07: خريطة توضيحية للتوزيع الجغرافي للشعب الصنهاجي

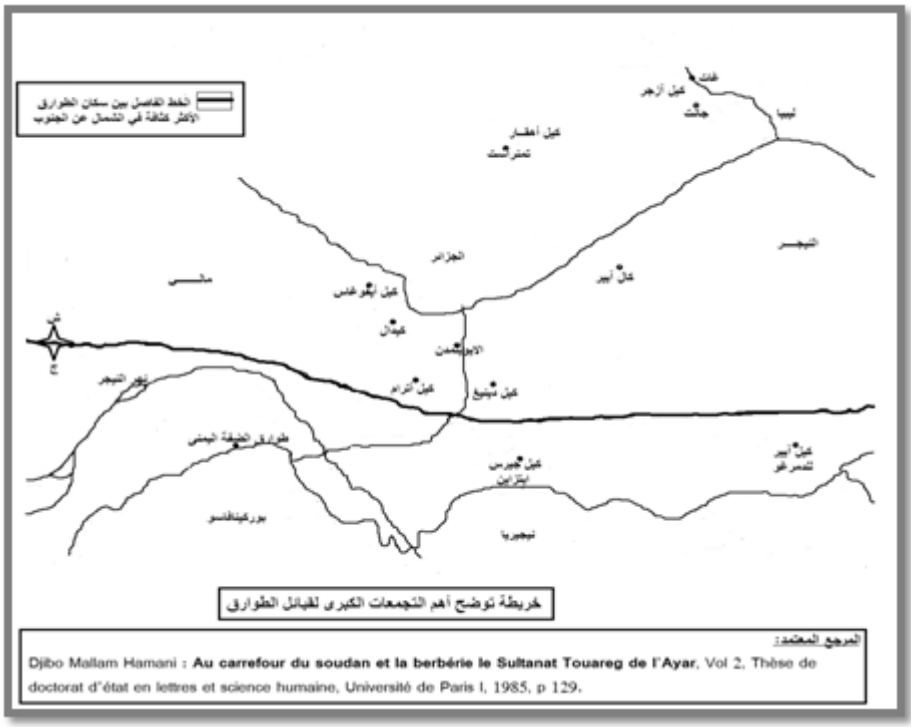

هناك من يطلق عليهم شعب الطوارق يسمون أنفسهم بـ "ايماجورن" أو " إيماشورن". هذه القبائل قد نزحت إلى شمال مالي أصبحوا يشكلون أدرار ايفوغاس، وكذا الآير، مصدرهم الشمال الشرقي أي من فزان؛ يضم الآير اليوم عدة قبائل تعيش فيه مثل كيل آوي(Kel Away)، كيل فروان (Kel Ferwen) ، كيل فاد(Kel Fade) ، الايكاسكازن(Ikaskazen) ، كيل تادال(Kel Tadale) ، والإينوسوفة (Inussufa) **(بتقة،، 2009-2010، صفحة 27، 31.)**.

هؤلاء يمثّلون سكان النّيجر؛ منهم من يسكن الساحل الجنوبي للاقليم الممتد بين نهر النّيجر وبحيرة التّشاد خاصة بين الأزواغ والكيتيس(Kutus) مرورا بالآدار، الغوبير(Gobir) والدمرغو، كما يُقيم طوارق الإوليمدن المنطقة الحدودية بين مالي والنّيجر حاليا **(بتقة،، 2009-2010، صفحة 39، 42)**، إضافة إلى خليط من الفولاتة والسنغاي.

ت- المور (Maures) :

يتواجدون بشكل رئيسي في موريتانيا وبنسبة أقل في السنغال وغامبيا ومالي، وهم مزيج من العرب والبربر، يتكلمون اللغة العربية باللهجة الحسّانية، وهم على صنفين مور بيض ومور سُمر **(مرجاني، 2014-2015،، الصفحات 54-55.)**.

2-1-2 **السودان:**

أما بالنسبة للسكان الأصليين للمنطقة وهم من السلالة السمراء؛ نلاحظ أن معظم الكثافات السكانية، تنتشر على سواحل المحيط الأطلسي وضفاف الأنهار، مثل السنغال، النيجر وغامبيا وروافدهم، لكون هذه المناطق تعد نطاقات زراعية ورعوية أو معدنية، هؤلاء يمثلون الماندينغ، الولوف، السنغاي.

أ- الماندينغ:

يطلق عليهم إسم "ماندي" و "ماندينكا" ويشكل الماندينغ القسم الأساسي لشعوب المجرى الأعلى لثلاثة أكبر أنهار في السودان الغربي وهي: السنغال، غامبيا والنيجر، فهم ينتشرون في كامل منطقة السودان الغربي (جنوب السنغال، النيجر الأعلى، من سواحل المحيط الأطلسي إلى غاية جمهورية نيجيريا الحالية)، يتحدد مجالهم الجغرافي من الغرب مرتفعات فوتا جالون، ومن الجنوب غابات جنوب غينيا ومن الشرق والشمال غابات السافانا السودانية **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 20-21)**. يمثل الماندينغ الشعب السوداني الخالص، حيث ينقسمون إلى ثلاث مجموعات فرعية وهي ؛

- **ماندينغ الشمال**: ويعرفون بماندي تان (Mandi-tan) ويمثله شعبا "البوزو" و"السوننكي" ، كما أن الديولا (Dioula) أو "الجيولا" ينحدرون من سلالة السوننكي، لكنهم انفصلوا عنهم قبل أن يختلطوا مع شعوب الساحل من الساميين والموريين.

- **ماندينغ الوسط**: يتفرعون إلى أربع مجموعات وهي؛ **كاغورو (Kagoro)** ؛ **البامانا أو البمبارا؛ الخاسونكي.**

- **المالنكي و الماندي**؛ يعتبر المالنكي فرع من فروع الماندينغ وهم سكان مالي.

- **السينوفو**؛ يعد شعب السينوفو شعبا أصيلا في المنطقة سواء في النيجر الأعلى أو السنغال وكوت ديفوار الحالية. **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 20-21).**

الخريطة رقم 08: خريطة توضيحية للتوزيع الجغرافي لشعب الماندينغ

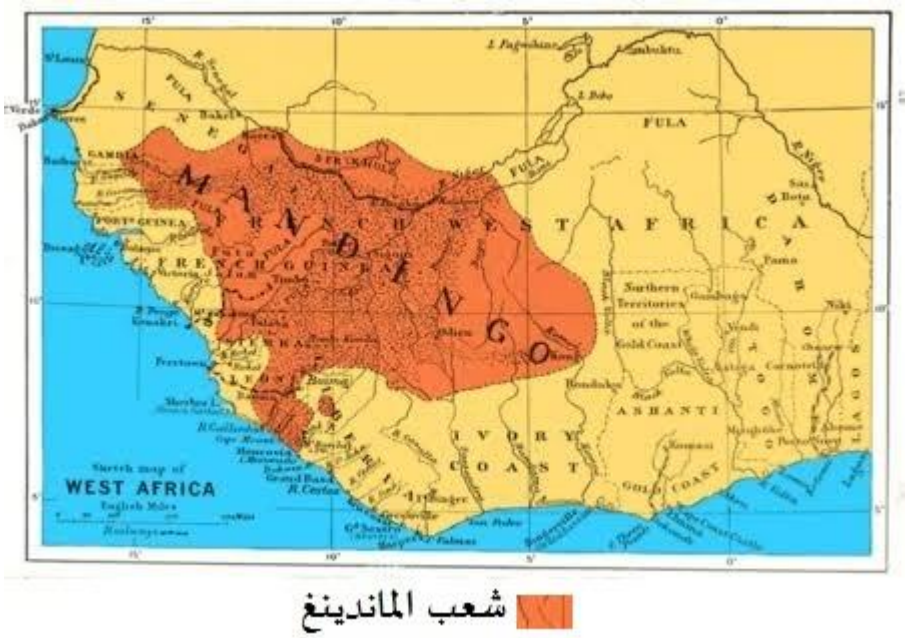

ب- السنغاي:

أطلق هذا المصطلح في بداية الأمر على البلد الذي يسكنه هذا الشعب، وهي المنطقة المجاورة لنهر النيجر عند ثنيته أو ما يعرف بالنيجر الأوسط، وهي المنطقة الانتقالية بين عالم الماندينغ والسودان

الأوسط، فالسونغاي يعيشون[1]، على طول ثنية النيجر في منطقة البحيرات ومنطقة تنبكتو، إلى غاية غاو والنيجر الأسفل في منطقة ساي.

لهذا الشعب فرعين أساسيين هما "زرما" أو "جرما"؛ وهم الذين يقطنون جنوب منطقة غاو ضواحي منطقة ساي (Say) في مدن نياني (Nianey)، دوزو (Doso)، تيلابري (Tilabri)، أما الفرع الآخر فهو "دندي" وهو النيجر الأوسط بالقرب من ساي، عرف هذا الشعب بعدة أسماء منها "سوناي بوري" (Sonay Borey) أو "سونوي" (Sonoy tye)، وهذا للدلالة على الشعب والبلد معا.

يبدو أن الأسماء تعطى لعائلات ملوكهم، ثم يحتفظ بها الأحفاد فيما بعد مثل "سونوي" هو لقب لأحفاد "سني علي" من السنغاي، ولقب دندي أعطي لأحفاد " سن سليمان داما"، الذي يلقب بدندي وهو ينتسب إلى السنغاي الذين يسكنون مدينة أرحام **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، الصفحات 49-50)**.

ت- التكرور:

التكرور هم خليط من الزنوج يضم الفولة وقلة من المغاربة **(مرجاني، 2014-2015،، صفحة 18)**، يعرفون بأسماء مختلفة منها التوكولور (Toucouleur) أو الساراكولي (Sarakhoulé)، هذا الشعب يعد من أقدم الشعوب السودانية وأشهرها، حتى أن المشارقة يطلقون اسم تكرور على كل بلاد السودان، مع العلم أن مملكة التكرور، على ضفاف نهر السنغال، وهم مسلمون.

اقترن اسمهم باسم البلد التي سكنوها وهي التكرور وهي فوتا السنغالية (Fouta Sénégalaise) لكن موطنهم الأصلي الأول إلى غاية القرن السابع للهجرة (ق 13م)، هو ضفتي نهر السنغال **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، الصفحات 47-48)**.

ث- شعوب الولولوف ((Wolofs) جولوف):

هي الشعوب التي سكنت في حوضي نهري السنغال وغامبيا، في بداية الأمر أسسوا مملكة اسمها جولوف (Djolof) تأسست عام 1350م، من طرف نديايا (N'Diaya) متاخمة للماندينغو وقبائل الفولاتة **(الفيتوري، 1998م، صفحة 33)**، يشتهرون بإنتاج القطن وحياكة الصُّوف والقماش، أما السرير

[1] . يسكنون الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو؛ تمتد على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من الداهومي عند مدينة داندي إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا. **ينظر:** الفيتوري، دراسات، ص 24.

فيعيشون بين نهري غامبيا والسالوم **(فيج، صفحة 81)**، وهم يجاورون التكرور[1] الذين يسكنون أعالي السنغال وأواسط النيجر، ويكوّنون مع الولوف جزء من إمبراطورية التكرور[2].

ج- سكان الفولتا:

يضمون سبع مجموعات وهي: مجموعة الموسي (Mossi) أو الموشي، اللوبي (Lobé)، كولونغو (Kolango)، باريبا (Bariba) وغورونسي (Gourounsi)، بالإضافة إلى شعوب أخرى يسكن جزء منها في السودان الغربي مثل التونبو (Tombo) والبوبو (Bobo).

على العموم؛ فإن سكان الفولتا يعدون أقدم سكان منطقة السنغال الأعلى والنيجر، شأنهم في ذلك شأن السينوفو ، حيث ينتشرون في كل المنطقة المنتمية إلى حوض فولتا الممتدة من مرتفعات هومبوري (Hombori) في الشمال، إلى غاية المناطق القريبة من الغابات الاستوائية في الجنوب **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 33-34)**.

يعد شعب الموسى من أهم المجموعات التي تشكل سكان الفولتا وأقدمها، حيث ينتمون إلى عائلة الفولتا الكبرى وينتشرون اليوم في الفولتا العليا، هذا الشعب لم يتأثر بالديانة الإسلامية، وليس لهم أجداد من أصول بيضاء، وقد وصلت هذه القبائل إلى حوض فولتا (the Volta Basin) في مجموعات صغيرة، وسيطروا على جماعات السكان الأصليين فأصبحوا يحتلون مساحة كبيرة تمتد من شمال غانا إلى نطاق أكبر من بوركينا فاسو، ويرجع العلماء أن بدايات نشأة هذا الكيان المسمى الموسى (Mossi) إلى أوائل القرن الخامس عشر **(محمد ع.، 2019)**.

أسسوا خلال تاريخهم ثلاث دول امتازت بنظامها السياسي والإداري المحكم، كما يعتبر هذا الشعب زراعي رعوي في البداية، ثم تحولوا إلى تجار بعد ذلك، هذه المملكة قد غزت كل مملكتي مالي والسنغاي في أوج قوتهما، كما قاموا بنهب مدينة تنبكتو عام (733هـ/1333م)، كما هجموا على مسينا وخربوها عام (890هـ/1486م) **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 33)**.

---

(1). **التكرور:** هم خليط من الزنوج يضم الفولة وقلة من المغاربة. **ينظر:**

- مرجاني عبد القادر، المرجع السابق، ص 18.

(2). **السيرير:** يختلف السيرير عن الفلان والتكرور في الديانة حيث يعتنقون الديانة المسيحية والبعض منهم وثنيين. **ينظر:**

- مرجاني عبد القادر، مرجع سابق، ص 18.

خريطة رقم 09: خريطة توضيحية لأهم الجماعات العرقية الرئيسية لسكان السودان الغربي

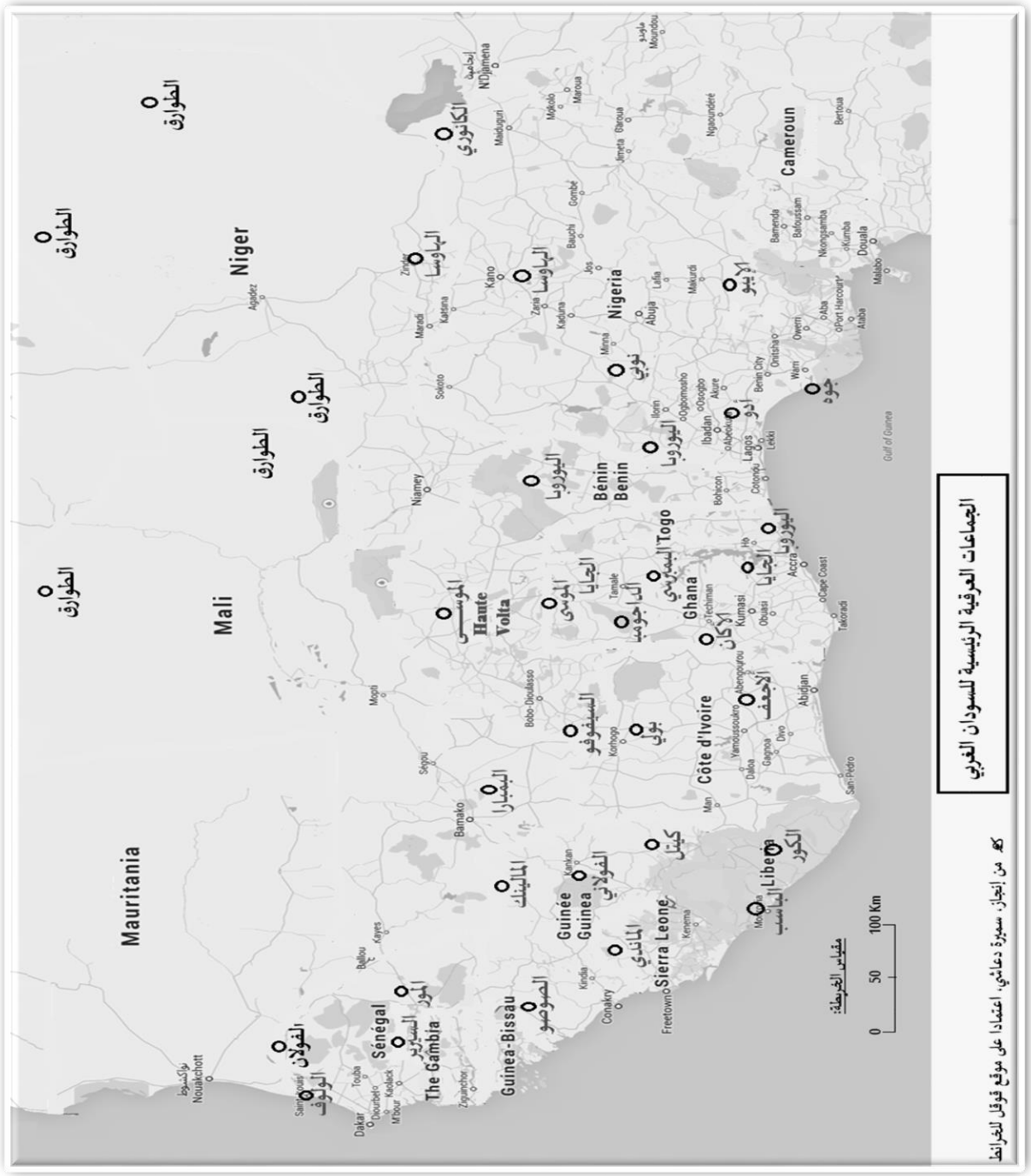

2-2 شعوب السودان الأوسط:

بالنسبة للشعوب التي سكنت السودان الأوسط؛ فإنّ المصادر التاريخية لا تمدّنا بمعلوماتٍ كافية عن تاريخ الاستقرار السكاني ومساره في المنطقة، إلا أن المعطيات الأركيولوجية تأكد أنّ السودان

الأوسط من أقدم المناطق الحضارية بالقارة الإفريقية، وقد أهّله لذلك ما يتمتّع به من مزايا طبيعية ومناخية جعلته صالحاً للاستقرار والتحضّر، حيث يتوفر السودان الأوسط على الواحات الصحراوية في الشمال وبحيرة تشاد وفي الجنوب، وهنا سنعرض أهم الشعوب التي سكنت المنطقة:

2-2-1 شعب التبو أو التوبو:

يعتبر التبو أو التوبو (Toubou) من سكان غرب كوار، كما ينتشرون في فزان ويمتدون إلى جبال تبستي وما جاورها، وهناك مجموعات منهم في بحر الغزال وبلاد الكانم وواحات كوار، يتكلمون لغة خاصة بهم وهي الدازاقا(Dazaga) أو التاداقا (Tedega)، التي تنتمي إلى إحدى اللغات الصحراوية، والتبو ليسوا بيضا صرحاء ولا سودا خالصين، وإنما هم شعب هجين يعتنقون الإسلام **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 30-31)**.

2-2-2 شعب الساو أو الصو:

هم من أهمّ وأقدم الشعوب التي سكنت بالسودان الأوسط، وهناك اختلاف كبير في أصوله، ويُعتقد أنّ شعب الساو هم أسلاف شعب كوتوكو الموجودين حاليّاً في تشاد[1]، وحسب الروايات المحلّية؛ فإنّ شعب الساو كانوا منذ القرن السابع الميلادي مستقرّين في منطقة كوار، ومنها بسطوا سيطرتهم ابتداءً من القرن العاشر ميلادي (ق4هـ) على كلّ الأقاليم الواقعة بين بحيرة فتري (جنوب دولة تشاد) وبلاد الماسا (شمال دولة كاميرون).

ويُعتقد أنّه تمّ طرد شعب الساو إلى الجنوب زمن تأسيس مملكة كانم، وأنّ سلاطين بورنو عملوا على القضاء عليهم، في زمن السلطان إدريس ألوما في القرن السابع عشر ميلادي (ق11هـ)، وهذه الفترة توافق زمن اختفاء الساو كشعبٍ واحدٍ منظّم من تاريخ المنطقة، حيث لم يعد لهم وجود **(انجاي، صفحة 16)**.

2-2-3 شعب الزغاوة:

لقد اختلف المؤرخون في تحديد أصل "الزغاوة"، حيث يُرجع البعض أصلهم إلى الحميريّين عرب الجنوب، ويعود بهم البعض إلى البربر، ويرى آخرون أنّهم زحفوا من هضبة دارفور غربي دولة السودان، واستقرّوا في حوض بحيرة التشاد، وأسّسوا مملكة عُرفت باسمهم، امتدّت من تخوم الواحات الليبية إلى الحدود الغربية لدارفور.

[1] . كان شعب كوتوكو يستخدمون لفظة "ساو" للدّلالة على أسلافهم.

كان العرب على اتصال كبير بشعب الزغاوة؛ لاستقرارهم في طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء من ليبيا ومنطقة وادي النيل، إلى منطقة بحيرة التشاد والسودان الغربي، ولذلك ورد اسمهم عند كثير من مؤرّخي وجغرافيي العالم الإسلامي، من أمثال ابن حوقل، واليعقوبي، والبكري، والإدريسي، وابن سعيد، وابن خلدون، وغيرهم **(انجاي، الصفحات 16-17)**.

على الرغم من أنّ مؤسّسي مدينة "كانم" المشهورة بالسودان الأوسط، غير معروفين على سبيل التحديد؛ فإنّ من المؤكد أن "الزغاوة" من أوائل سكان هذه المدينة، فحسب بعض المصادر؛ فإن الزغاوة كانوا حكام كانم في القرن التاسع ميلادي (ق2هـ)، حيث يقول في حديثه عن ممالك بلاد السودان **(انجاي، صفحة 17)**.

4-2-2 شعب الكانمبو:

تحمل لفظة كانمبو معنا جغرافيا؛ لأنّها تعني أهل الغرب، فهي مؤلّفة من كلمتين، "Anem"، وتعني الغرب، و "bou" وتعني أهل، ويجمع الحرف "K" بينهما، ويسمّي الهوسا هذا الشعب "بري بري" (Beriberi)، وتعني في لغتهم (المغاربة).

وهناك روايات مختلفة عن أصول كانمبو، من أشهرها تلك التي تعتبرهم من سلالة الملك اليمني سيف بن ذي يزن، كما ينفي كثير من المؤرّخين هذه النسبة، ويعتبرون الشعب الكانمبي خليطا من المجموعات الإثنيّة ذات الأصول النيلو- التشادية، كما يعتبرهم آخرون من أصول بربرية **(انجاي، صفحة 18)**.

5-2-2 شعب الهوسا:

لقد استخدمت لفظة الهوسا بالمفهوم العرقي، بوصفه اسما لمجموعة إثنية معيّنة، حديثة نسبيّا؛ لأنّ هذه اللفظة كانت تحيل إلى معنى لغوي وثقافي وجغرافي؛ أكثر من كونه عرقيا، حيث كانت تُطلق على الشعوب التي تتكلّم لغة الهوسا، أو الشعوب القاطنة في الممالك القديمة لبلاد الهوسا وهي؛(زمفرة وكبي وغوبر).

وحول أصل شعب الهوسا؛ توجد نظريات متعدّدة؛ هناك من يقول أنهم من أصول عربية قادمة من بغداد بالعراق، أو أنّهم كانوا من سكّان الصحراء الكبرى قبل تصحّرها، ولما جفّت الأرض زحفوا إلى الجنوب واستقر بهم المقام في هضبة بوشي، ومنها بسطوا سيطرتهم على ما عُرف فيما بعد ببلاد الهوسا.

يعتبر شعب الهوسا؛ من أهمّ شعوب السودان الأوسط، وهم الآن على مستوى الكثرة ثاني أكبر شعب إفريقي بعد الشعب السواحلي، كما تحتل الهوسا معظم دولة نيجيريا، كانوا يعيشون سابقا في الأقاليم الوسطى لجنوب الصحراء شرقي نهر النيجر، وقد أخرجتهم من مواطنهم قبائل الطوارق، فأخذوا يهاجرون نحو الجنوب في القرنين التاسع والعاشر ، حيث أقاموا لأنفسهم دويلات منها كانو وكاتسنا وسبع دويلات ثانوية منها؛ كيبي نوب وبوريا وذلك في الأقاليم الواقعة بين النيجر غربا وبورنو جنوبا، أي في معظم النصف الشمالي لنيجيريا اليوم.

شعب الهوسا يتميز عن باقي الشعوب السودانية؛ وذلك بتفوقهم في الصناعات اليدوية وصناعة المنسوجات والتجارة بين طرفي الصحراء، فتركت حضارتهم طابعا مميزا خارج حدودهم الإقليمية، أين أصبحت اللغة السائدة في التجارة والعلاقات الدبلوماسية بوسط إفريقيا وغربها، كما أصبحت اللغة المتحدث بها من قبل الحكام في علاقاتهم الدبلوماسية، وفي القرن الخامس عشر أخذت هذه الدويلات تعتنق الإسلام، وبقوا على اسلامهم أثناء الإحتلال البريطاني لهم **(الفيتوري، 1998م، صفحة 26)**.

3-2 شعوب السودان الشرقي:

1-3-2 شعب النيلي:

تشير الكتابات العربية؛ أن هناك هجرات للشعوب الإفريقية نحو الشرق خلال فترات طويلة من الزمن، استقرت بعض القبائل السودانية في أقاليم أعلي النيل، والمناطق المحيطة بها واختلطت مع القبائل الحامية التي تعيش في الركن الشمالي الشرقي لافريقيا، هذا الإختلاط نتج عنه ظهور شعب النيلي، وكانت لغته مزيجا بين اللغتين الحامية والسودانية، وهو شعب رعوي زراعي، يمثلون قبائل المادي والشولي الدنكا، النوير، باري والشيلوك، وهم وثنيون قائمون على عبادة الثيران **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 37-39)**.

2-3-2 شعوب النوبة:

يطلق لفظ "النوبة" على أجزاء وادي النيل الممتدة على جانبي نهر النيل الأعظم، من أسوان إلى جنوبي إلتقاء النيلين الأبيض والأزرق، بالإضافة إلى مناطق من حوض النيل الأزرق والأتبرا، حتى أطراف الحبشة شرقا وأقاليم كردفان ودارفور غربا.

أما مصطلح النوبة؛ فقد اختلف المؤرخون في تعريفه فمنهم من قال إنَّ الكلمة مشتقة من لفظة نوب (Nub) التي تعني الذهب في اللّغة الفرعونيَّة القديمة، ونحن نعرف شهرة بلاد النّوبة بالذهب إبان العصور الفرعونية، كانت هذه المنطقة هي الوحيدة التي تُغذي مصر بكميات الهائلة من الذهب.

ومنهم من قال إنَّ الكلمة وصلت إلينا عن طريق الكلمة القبطية (Anouba or Anobades) بمعنى يُضفر، وفي هذه الحالة يكون معنى (نوبة) ذو الشّعر المضفّر أو المجعّد. غير أنّ هناك رأي يقول إنّ كلمة "نوباتا" مشتقة من العاصمة نبتة (Napata).

كما تعني لفظة (Nubile) في اللغة الإنجليزية الفتاة البالغة سن الزواج، ومن المعروف أن الإغريق استخدموا النوبيّات كجواري في المنازل بعد السبي والاسترقاق. ومهما يكن من أمر، فقد جاء العرب وأطلقوا اسم "النّوبة" عليهم، كما أطلقوا اسم "المريس" (Nobatia) على إقليم النّوبة بين أسوان و دنقلا.

بالنسبة لأصل النوبيين يبدو أن بعض العلماء قد وقع في خطأ كبير عندما بنوا نظريتهم الخاصة بأصل النوبيين على أسس لغوية دون غيرها، وبذلك حدث خلط بين النوبيين على النيل (البرابرة كما يسمونهم الآن في مصر)، وبين النوباويين سكان جبال نوبا في جنوب كردفان.

صنفهم إليوت سمث؛[1] بأنهم حاميو الأصل من نفس سلالة قدماء المصريين وتأثروا على مدى العصور بمؤثرات زنجية، أما عن وجود شبه بين إحدى اللغات الثلاث الموجودة في جبال كردفان الجنوبية وبين اللغة النوبية، فإن هذا لا يقوم دليلا على اشتراك هاتين الدلالتين في أصل واحد فهو لا يستند إلى حقائق علمية فالإختلاف واضح بينهما.

أشار البعض الآخر؛ إلى أن مجموعات من القبائل السودانية قد هاجرت من وسط ودواخل السودان واستوطنت الأقاليم الجنوبية للسودان الشرقي، ومن أهم هذه الشعوب نجد شعب النوبة بالأقسام الجنوبية من كردفان، والفونج في نواحي إقليم سنّار والبرتا في حوض نهري تومات وجوباس من روافد النيل. يعتبر الكوشيون أسلاف النوبيون ، هؤلاء اختلطوا مع الشعوب النيلية والبانتو، ومن أهم شعوبها الصومال، الجالا، الدناكل، النوبة، الأجاو والبوجو **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 37-39)**.

---

[1]. لاحظ إليوت سمث؛ أن الزنوج لم يصلوا إلى مصر ولا إلى بلاد النوبة قبل عهد الأسرة الثالثة المصرية، باستثناء النساء الزنجيات اللائي اتخذن المصريون أو النوبيون أزواجا لهن، وهناك ابحاث أثرية تؤيد ما ذهب إليه من أن سكان النوبة حتى الأسرة الثالثة كانوا امتدادا لسكان مصر نحو الجنوب. ينظر: مصطفى محمد سعد، **الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (بحث في تاريخ السودان وحضاراته حتى أوائل القرن السادس عشر ميلادي)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2011، ص 27.

الأرجح أن بعض الموجات النوبية سواء أكان قبل سقوط دنقلة أو بعدها، فقد هاجرت إلى بعض جهات كردفان أمام الضغط العربي المستمر واستقرت بعض عناصرها في شمال جبال كردفان، وفرضت اسمها ولغتها على السكان الجبال دون غيرهم، وما لبث أن أطلق العرب اسم نوبا على سكان الجبال جميعا، ربما لان هؤلاء النوبيون كانوا عنصرا بارزا، مما جعل اسمهم علما على الجبال جميعا، على الرغم من أن السكان الأصليين يطلقون على أنفسهم اسم "سكان الجبال" بدلا من نوبا **(محمد س.، 2011، صفحة 32)**.

كان العرب يسمون المنطقة باسم مملكة النوباديين، وهي مملكة قوية أعادت السيطرة على كامل أرضها، بعد أن كانت في عرضة للسيطرة المصرية خلال عقود طويلة، كان النوبيون يستخدمون رموز الكتابة المصرية القديمة، كما كانت عبادتهم مرتبطة بتطور العبادات الفرعونية بمصر.

دخلت المسيحية إلى بلاد النوبة منذ القرن الأول الميلادي، حيث يذكر أن ملوك النوبة كانوا حماة للكنسة القبطية، وبعد الفتح الإسلامي لمصر، توالت محاولات الفاتحين لدخول النوبة، لكنها استعصت لمدة عشرين عاما ثم تم الصلح بين المسلمين والنوبة بأن يدفع كلاهما أموالا للآخر كل سنة، فلم يمض زمن قليل حتى أسلم أهل النوبة كلهم **(جاويش، 2016، الصفحات 2-3.)**.

ما يمكن قوله؛ أن النوبيون قد تفرعوا إلى عدة بطون صغيرة، شأنهم في ذلك شأن معظم القبائل السودانية الكبيرة، والسبب يعود إلى العوامل الجغرافية والطبيعية للمنطقة، حيث استقرت كل منها في جزء معين بهدف تقاسم الموارد الشحيحة للمنطقة **(جاويش، 2016، صفحة 17)**.

2-3-3 شعب الفونج:

يحتل الفونج مساحة في الجزء الشمالي من السودان الشرقي، من مدينة مشو بالقرب من الشلال الثالث حتى الجنوب، عاصمتهم سنّار الواقعة على النيل الأزرق، ثم امتد ملكهم ليشمل أجزاء كبيرة من بلاد البجة في الشرق وكردفان في الغرب **(فضل حسن،، 1989، صفحة 53)**.

يرجع الباحثون موطن الفونج وأصلهم من ثلاث مناطق وهي؛ بلاد الحبشة، بلاد بورنو ومنطقة الشلك على النيل الأبيض، تذكر أحد المخطوطات أن الفونج في أول الأمر كانوا يعرفون "بلول" "لول في صعيد" أي منطقة أعالي النيل الأزرق التي ظلوا بها زمنا طويلا.

تجمع الروايات السودانية عامة؛ أن الفونج من سلالة بني أمية الذين هربوا من نير الدولة العباسية بعد أن سقطت دولتهم، وترجع هذه الروايات أنهم دخلوا السودان عن طريق الحبشة، ولا

يختلف الفونج في تمثيلهم للنسب العربي عن سائر المجموعات السودانية المستعربة والتي اعتنقت الإسلام، في حين أن بعض النسابة السودانيين يرجعون أصل الفونج إلى بني هلال نسبة إلى حسن الهلالي وهو ابن أمة سوداء، والذي أنجب ولدا اسمه دوكة وهو جد الفونج، وعدد من القبائل مثل الشلك والدينكا وفنقر وكيرا، كما يرتبط الأصل الأموي للفونج بالحبشة، فهناك اجماع بين الورايات السودانية على أن أجداد الفونج من الأمويين وقد اتخذوا من الحبشة موطنا لهم.

3. شعب البجة:

البجة هو اسم لتلك القبائل الحامية الشمالية، يميل العلماء إلى الربط بينهم وبين قدماء المصريين في أقدم عصور التاريخ، ويرجع نسب البجة إلى القبائل التي نزحت منذ القدم من الجزيرة العربية، ثم اتصلت بقدماء المصريين ، لكن موقعهم الجغرافي الذي يتميز بكثرة الأمطار جعلهم بدوا رحل ورعاة أبقار، فغلبت هذه الطبيعة على طبائعهم وأصبحت لهم صفات البداوة ، مع العلم أنه كانت لهم صلات بالمدن الواقعة على شواطئ النيل مثل مروى ودنقلة، إلا أنهم لم يعتنقوا الدين المسيحي مثلهم وبقوا وثنيين قرونا طويلة **(الفيتوري، 1998م، صفحة 56)**.

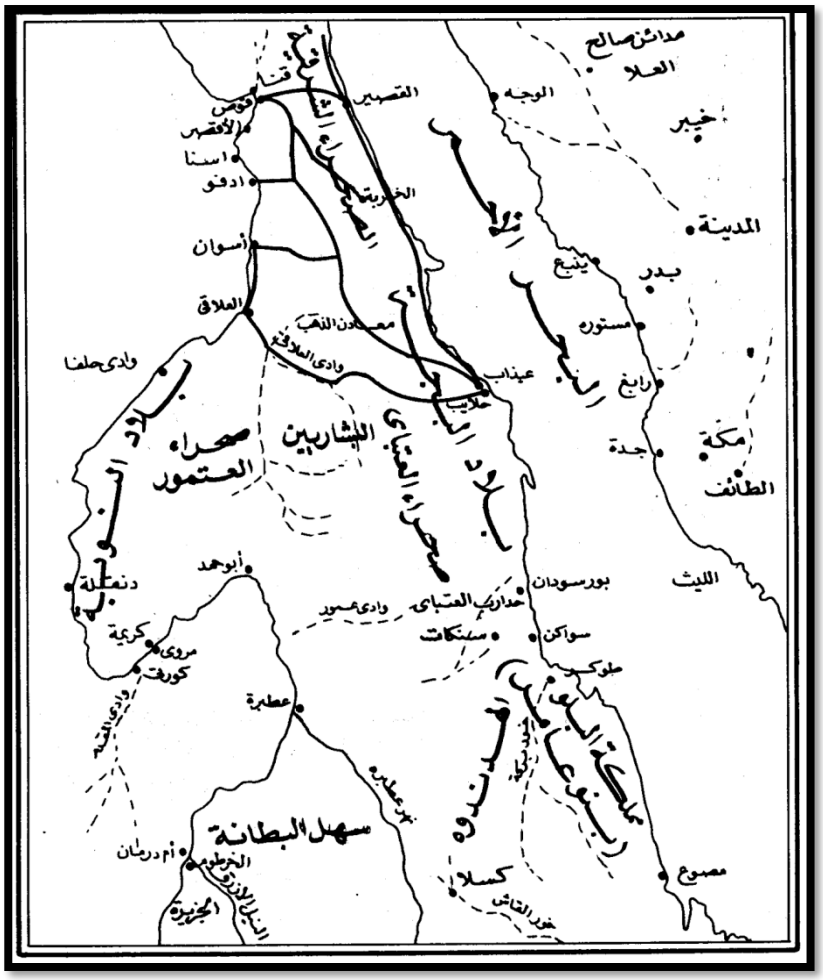

وقد انقسمت قبائل البجة إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

1. **المجموعة الشمالية**؛ وهم العبابدة والذين كانت لهم علاقات وثيقة بالفراعنة ولغتهم العربية.

2. **المجموعة الوسطى**؛ مثلون البشارة والهدندوة واحتفظوا بلغتهم الكوشية.
3. **المجموعة الجنوبية**؛ ويمثلون بنو عامر وكانوا تحت التأثير الحبشي يتحدثون بلغة اليتجري.

تحدث ابن حوقل عن السودان الشرقي فتكلم عن البجة والنوبة والأحباش، معلالا بذلك أن لديهم مستوى من المدنية والتنظيم والوعي الديني لقربهم من البلاد الأكثر حضارة، ويبدو أن الدافع الذي كان وراء ذكر أقاليم السودان الشرقي، يعود إلى أهميتها الإقتصادية بالنسبة للدولة الإسلامية، فالذهب كان موجودا في بلاد البجة وكان يستخرج بكميات كبيرة **(فوزي، صفحة 17)**.

4. شعب الحبشة:

إن كلمة "الحبشة" مأخوذة من فعل عربي اسمه "حبش"، وهو جنس من السود يمثلون سكان بلاد الحبشة التي توسعت حتى اليمن. وفي القرن الرابع دخلت الحبشة في حظيرة المسيحية، لكن انتشار الإسلام وقوته، حملت الحبشان على الانسحاب من السواحل العربية، والاكتفاء بتوسيع الحبشة داخل القارة الأفريقية .

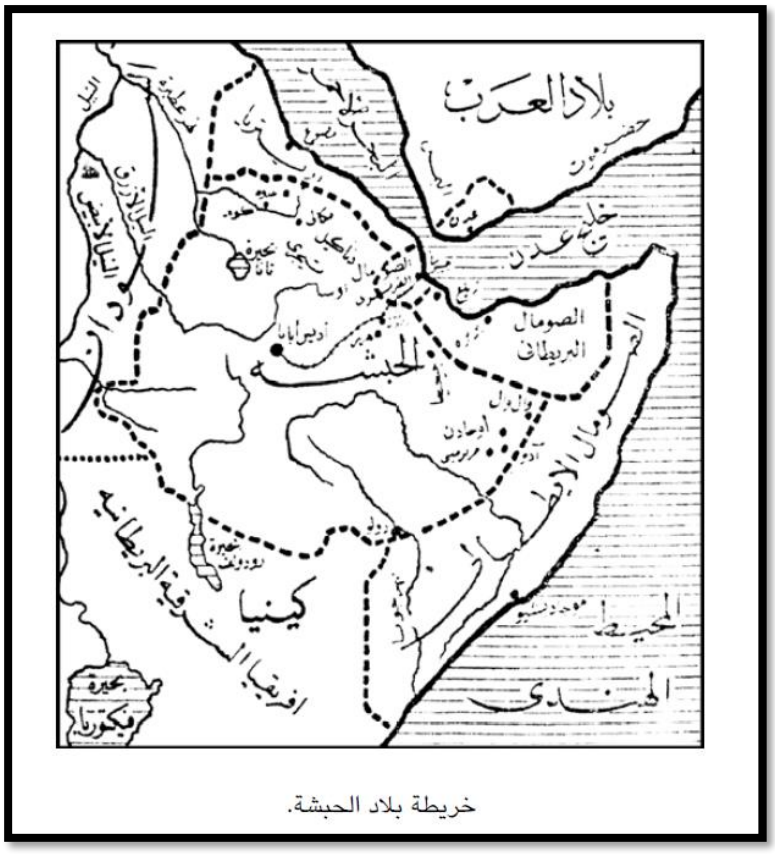

خريطة بلاد الحبشة.

أصبح مجالها الجغرافي يمتد من وادي النيل العلوي إلى الجزء الجنوبي الغربي من البحر الاحمر، وتقع بوجه أصح بين السودان المصري والشاطئ الإيطالي اريتيريا، أصلهم من حيث الدم سلالتان هما؛ زنجية فيسكنون الاقاليم الغربية، والسلالة الثانية سامية يسكنون الأقاليم الجنوبية من الجزيرة العربية **(حسين،، 2012، الصفحات 19-20.)**، ومن أكبر قبائل الحبشة شعب اورومو من سكان مناطق اورومیا في الوسط والشرق والغرب والجنوب الشرقي.

يعتبر شعب الأورومو من أقدم الشعوب القاطنة منطقة القرن الأفريقي، وترجع أصولهم إلى القبائل الحاميَّة الكوشية الإفريقية القاطنة بمنطقة القرن الأفريقي في إثيوبيا وشمال كينيا، وأجزاء من الصومال . يتحدث شعب الأورومو اللغة الأورومية التي يسميها أبناؤها بـ"أفان أورومو." ولقد أطلق عليها في التوراة حبشت **(يسري، 2016، صفحة 2)**.

المحور الثاني

حركة انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.

المحاضرة الرابعة: دور المشرق العربي ومصر في نشر الإسلام في السودان الشرقي.

1- انتشار الإسلام في بلاد الحبشة.

2- انتشار الإسلام في بلاد النوبة.

3- انتشار الإسلام في بلاد البجة الوثنية.

المحاضرة الخامسة: دور المغاربة في نشر الإسلام في السودان الغربي والأوسط

1- التجار

2- دور هجرة القبائل العربية والبربرية

3- دور الدعاة المغاربة

4- الطرق الصوفية

5- الدول الإسلامية المغاربية

المحاضرة السادسة: دور الأفارقة في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.

1. الملوك.
2. الدعاة الأفارقة.
3. الحركات الإسلامية الحديثة

المحاضرة الرابعة: دور المشرق العربي ومصر في نشر الإسلام بالسودان الشرقي.

الهدف الخاص:

- أن يوضح الطالب دور المشرق العربي ومصر في نشر الإسلام بالسودان الشرقي.

الاهداف الاجرائية:

- أن يحدد الطالب دور المشارقة في نشر الإسلام ببلاد الحبشة بشكل مفصل.
- أن يوضح الطالب طرق انتشار الإسلام في بلاد النوبة بشكل وجيز.
- أن يشرح الطالب كيف انتشر الإسلام في بلاد البجة الوثنية بشكل واضح ودقيق.

==========

تمهيد:

إذا جئنا للحديث عن انتشار الإسلام في بلاد السودان، فإننا لن نجد سوى ثلاث عناصر أساسية كانت وراء هذا الانتشار الإسلامي الواسع وهم: المشارقة، المغاربة والعنصر الإفريقي المحلي، هذه العناصر الثلاث كانت على اتصال بعضها البعض قبل ظهور الإسلام، وتعود علاقاتها إلى عهود سحيقة من الزمن، فكان عامل التجارة بصفة خاصة أساس هذا التواصل بين هذه الأقاليم المترامية الأطراف، بين ضفتي الصحراء وبين المشرق العربي وإفريقيا.

بعد بزوغ فجر الإسلام حملت أول هجرة في الإسلام الدعوة الإسلامية، إلى بلاد الحبشة الواقعة في السودان الشرقي، كما حملت القوافل التجارية الإسلام معها مثلما تحمل البضائع، انطلاقا من عواصم الإمارات البربرية الإسلامية الواقعة على حواف الصحراء، أو من شرق موانئ البحر الأحمر ، أو صعيد مصر إلى أدغال إفريقيا، فكانت الطبقة الأرستقراطية من التجار الأفارقة والطبقة الحاكمة أول من اعتنق الإسلام قبل غيرهم من الطبقات الشعبية الإفريقية، لاسيما في غرب ووسط السودان، والطبقة الشعبية قبل الحكام بالسودان الشرقي.

في هذه المحاضرة سنتطرق إلى العنصر العربي وكيف ساهم في نشر الإسلام في شرق إفريقيا والوسائل التي اعتمدها في ذلك.

1- انتشار الإسلام في بلاد الحبشة:

كانت التجارة بين عرب شبه الجزيرة العربية وشعوب شرق إفريقيا، ما زالت مستمرَّة حين جاء الإسلام، فلمَّا اشتدَّ أذى مشركي مكة للمسلمين، أذن رسول الله صلى الله عليه و سلم لبعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، أين يوجد بها الملك النجاشي الذي وصفه الرسول بأنه: **" لا يُظلم عنده أحد"**، فكانت أول هجرة في الإسلام تتألف من اثنا عشرة صحابي وأربع صحابيات، يتقدمهم سيدنا عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وهذا بعد سنتين من جهر الرسول ﷺ بالدعوة الإسلامية عام 615م، حيث كان بني عامر مسيطرين على ساحل البحر الأحمر الغربي بجزره وموانيه، وبفضل الله ووجود بني عامر في الموانيء الأفريقية، استطاع المهاجرون المسلمون الأوائل أن يبحروا إلى الحبشة **(بدج، صفحة 270)**.

ركبوا البحر من ميناء شعيبة الحجازي بالقرب من جدة، وتوجهوا في سفينتين إلى باضع، وهناك من يقول سواكن وكانوا في طريقهم إلى الحبشة التي كان يحكمها ملك عادل؛ هذه الجزيرة هي عاصمة مملكة بني عامر البجائيين التي تسمى جارين. حيث استقبل أفراد قبيلة بني عامر هؤلاء المهاجرين ورحبوا بهم، وأعطوهم الأمان للنزول في أرض مملكتهم. وبهذا تكون هذه القبيلة البجائية، هي أول شعب يعطي الأمان للمسلمين ولأول مهاجريهم خارج الجزيرة العربية، بل وداخلها أيضاً.

وقد أكرم الله سبحانه وتعالى أمة البجه بالأسبقية في الإسلام، وذلك بدخول الإسلام إلى ربوعها قبل فتح مكة المكرمة بسبع عشرة سنة، حيث كانت هجرة الفوج الأول من الصحابة رضوان الله عليهم في السنة الخامسة من البعثة النبوية. وعليه فإن مملكة بني عامر هي أول دار للهجرة الإسلامية، حيث حباها الله بهذا الشرف وهذه المنّة، قبل أن يأذن الله لرسوله بالهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بتسع سنين.

لم تكن تلك هي أول هجرة أو آخر هجرة للمسلمين لأراضي بني عامر، لأنه ما لبثت أن قامت جماعة أخرى من مهاجري المسلمين تتكون من مائة وواحد، بهجرة مماثلة إلى أرض بني عامر، ومنها إلى أرض النجاشي، وذلك بعد سنة 615 م، مما هدد قريشاً وأخافها، فقاموا بإرسال وفد بقيادة عمرو بن العاص للمرة الثانية للنجاشي، فدعا المهاجرين وطلب منهم تفسير سبب هروبهم من موطنهم، فاخبره جعفر بن ابي طالب، وقرأ عليه بعض آيات سورة مريم فقال النجاشي: **" إن هذا الكلام والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة** (الماحي، د.ت، صفحة 31) " ، فرد على رسولي قريش قائلا : **"انطلقا والله لن أسلمهم إليكما أبدا"** (الماحي، د.ت، صفحة 31).

بهذا اعتبرت هجرة الصحابة إلى الحبشة هي باكورة دخول الإسلام إلى إفريقيا، كما اعتبر جعفر بن أبي طالب أول من قام بالدعوة الإسلامية في السودان الشرقي، ومن هنا أخذت الهجرات العربية تصل الحبشة عبر البحر الأحمر في أوقات مختلفة ومن فئات مختلفة (علماء، تجار، أمراء، مزارعين، ...الخ) ، فسكنوا أكثر المناطق عمرانا، وهي مصوع عند ميناء عدوليس، وقليل في مضيق باب المندب ، وهضبة الحبشة حيث منطقة هرر الخصبة، وفي الصومال حاليا أين توجد موانئ جيبوتي، زيلع وبربرة، ومن هذه المناطق انطلقت الهجرات نحو المناطق الداخلية لشرق السودان، حيث سكن هؤلاء مع المسيحيين وامتزجوا بهم، فانتقل الكثير منهم إلى الإسلام فجاء نتاج هذا الامتزاج جيل إسلامي أخذ يكثر بمرور الأيام والسنين (الماحي، د.ت، صفحة 43).

لكن علاقة المهاجرين بالسلطات المسيحية، تُعد في هذا الطور علاقة الخضوع للأمراء الذين يحكمون هذه الأجزاء كما يخضع أهل البلاد، حيث يدفعون الضرائب ويظهرون بمظهر الولاء لهم، وظل الوضع على حاله إلى أن تمكن المسلمون من إنشاء إمارات إسلامية في شرق إفريقيا، في القرن الثالث هجري التاسع الميلادي.

الحق أن الأحباش الذين اعتنقوا الديانة المسيحية عام 350م عن طريق مصر؛ عند ظهور الإسلام أصبحوا على اتصال بالنصارى في أوروبا، للعمل ضد الإسلام وتجلى ذلك في تقديم مساعدات مادية ومعنوية للصليبيين الزاحفين على المشرق، فأصبح لهم دير في بيت المقدس، وفي نفس الوقت كانت الحبشة تقوم بأعمال القرصنة في البحر الأحمر، إلا أن تحرك المماليك أجبرها على التوقف عن تلك الأعمال، الأمر الذي جعلها تحرض ملك قبرص النصراني، على غزو الإسكندرية عام (767هـ/1365م)، كما اتصل الأحباش بملوك أوروبا للعمل ضد المماليك، وهدد الأحباش المماليك وذلك بغزو الأماكن المقدسة وتحويل مجرى النيل، حيث وعدهم ملك البرتغال بدعمهم.

كان من الطبيعي أن يقف المسلمون ضد هذه الاستفزازات، حيث حملت إمارة عدوليس في مطلع القرن العاشر هجري (16م) راية الجهاد في شرق إفريقيا، ووصل نفوذها إلى مرتفعات الحبشة، خلال هذه الفترة كان العثمانيون يضمون البلاد العربية للوقوف في وجه البرتغاليين والإسبان **(الماحي، د.ت، الصفحات 44-45)**، إلا أن إمارة عدوليس خضعت للأحباش نتيجة خسارتها لعدة معارك معها.

جاءت بعدها إمارة هرر وحملت لواء الجهاد ضد الأحباش، وقد شجعها في ذلك وصول العثمانيين إلى شرق إفريقيا ووقوفهم في وجه الحلف البرتغالي الحبشي، حيث وقفوا إلى جانب سلطان هرر، وكانت النتيجة ضم هذا السلطان لأجزاء الحبشة، فعاد الإسلام إلى عدد كبير ممن ارتدوا عن الإسلام نتيجة

الضغط والإكراه. كما وجد الإسلام طريقه إلى قلوب الكثيرين من الأعيان والزعماء الأحباش **(الماحي، د.ت، الصفحات 44-45)**.

2- انتشار الإسلام في بلاد النوبة:

عند ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم عام 571م كانت بلاد النوبة مسيحية يعتنقون المذهب اليعقوبي منذ القرن الخامس ميلادي، ارتبطوا جميعا بالكنيسة القبطية، مقسمة إلى ثلاث ممالك امتد نفوذها من الشلال الأول حتى إقليم سنّار على ضفاف نهر النيل الأزرق؛ أول هذه الممالك من الشمال هي المريس (Elmaris) أو نوباتا (Noubata) وعاصمتها المرس وقيل "بوباديا" والعاصمة "فرص"، وفي الوسط مملكة المقرة (Elmakara) وعاصمتها دنقلا (Dengala)، أما في الجنوب نجد مملكة علوة (Oloua) وعاصمتها سوبا (Souba).

وبعد ظهور الإسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية ، تدفقت طلائع الجيوش الإسلامية لنشر الإسلام، فغزت بلاد الفرس، الروم ومصر حتى وقفت على تخوم أبواب النوبة في أسوان، التي اتخذوا منها ثغرا لهم، ونتيجة هجمات سكان النوبة، سيما قبائل البجّة الواقعة في الشمال، فأمر الخليفة "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه، حماية المسلمين ووضع حدا لهذه الهجمات، فأرسل ولاة مصر عددا من الحملات إلى بلاد النوبة، أهمها الحملة التي أرسلها عمرو بن العاص عام (21هـ/ 641م)، حيث قادها عقبة بن عامر فقاتل أهلها دون فتحها، حيث كانت مقاومة النوبيون شديدة، أين أُجهد المسلمين رميا بالسهام.

عندما تولى عبد الله بن أبي سرح أمر مصر ؛ قام في عام (31هـ/651م) بقيادة جيش تعداده بلغ خمسة آلاف مجاهد فبلغ مدينة دنقلا ، وهناك التقى الجيشان في معركة حامية الوطيس، ورغم استخدام المسلمين للمنجنيق ورميهم لكنيسة دنقلا، إلا أن المسلمين لم يفتحوا العاصمة، فطلبوا الصلح وعقدوا معاهدة البقط؛ التي كفلت للمسلمين حق الإقامة والعمل في المملكة، وكفلوا للنوبة معونة من الأغذية والألبسة مقابل قدرٍ محدودٍ من الرقيق، واستمرَّت العلاقات السلمية بين مصر المسلمة وكوش المسيحية لمدة ستة قرون، دون أي صدامات واعتداءات تُذكر.

وقد استمرت معاهدة "البقط" لمدة ستة قرون دون تغيير في جوهر مضمونها، حيث استمر تسرب المسلمين إلى بلاد النوبة وتمكنوا من شراء العقارات في "المرس"، وامتزجوا بالسكان المحليين فكان لهم الفضل في نشر الإسلام في أوساطهم، كما كان لأحد فروع قبيلة ربيعة العربية اليد الطولى في ذلك،

حيث تسربوا من أسوان ووصلوا إلى دنقلا، فصاهروا الأسر الحاكمة فمهدوا لانفسهم السبيل لاعتلاء عرش النوبة، فكانت النتيجة الحتمية هي اعتناق المولدين للإسلام، وتأثرهم بالحضارة العربية الإسلامية. وبالتقادم والانصهار تلاشت بنود اتفاقية البقط، لاسيما بعد وقوع المنطقة في القحط والفقر، ولم يستطع النوبيون دفع العبيد للمصريين كجزية وفق بنود معاهدة البقط **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 157-158)**.

3- انتشار الإسلام في بلاد البجة:

في عهد الخليفة العباسي الواثق بالله طلب من والي مصر فتح بلاد البجّة، التي طالما شنت هجومات على صعيد مصر ، فقام القائد "محمد بن عبد الله القُمي" بالمهمة وتم له النصر عام (242هـ/856م). وهنا طلب ملك البجة الهدنة، فاشترط الخليفة المتوكل أن يفد ملك البجة إلى بغداد فتم ذلك وتم الاتفاق على أداء الجزية.

يبدو أن البجائيين لم يحترموا شروط الاتفاقية الأولى، ففي عهد الخليفة المعتصم، أرسل لهم جيش بقيادة "عبد الله بن الجهم" فحاربهم وفرض عليهم معاهدة ثانية، تؤكد احترام تطبيق البجة للالتزامات السابقة، مضيفا إليها محافظة البجة على دور العبادة الإسلامية، من مساجد ومصليات والسماح لعمال بيت المسلمين وجمع الزكوات والصدقات.

فيما بعد انتشر الإسلام في جميع أراضي البجه، وليس فقط في منطقة بني عامر، وصار كل البجه مسلمين وتركوا العبادات الوثنية. وعمت المساجد ربوع بلادهم، ومن أوائل المساجد التي شهدتها بلاد البجه (المسجد الكبير) الذي بناه أحد شيوخ المنطقة **(الماحي، د.ت، الصفحات 50-55)**.

4- انتشار الإسلام في بلاد الفونج(911-1237هـ/1505-1821م):

تعتبر مملكة الفونج أول دولة إسلامية قامت جنوب مصر، في المنطقة الممتدة من سواكن شرقا إلى النيل الأبيض غربا، ومن أقصى جبال فازوغلي جنوبا، إلى الشلال الثالث شمالا، أي أنها شملت معظم أراضي مملكتي المقرة وعلوة السابقتين، حيث عمل ملوك الفونج على تطبيق الشريعة الإسلامية وإنشاء المساجد، ورحبوا بالدعاة والعلماء الذين قصدوهم، فوهبوا لهم الضياع والأراضي ولم يردوا لهم طلبا، واشتدت رغبتهم في تحفيظ القرآن، وبث الثقافة الإسلامية وتصحيح العقيدة الإسلامية، واصدق مثال على ذلك تشجيعهم للجهود التي بذلها الفقيه بدوي البديري في جبال النوبة، والجهود التي قام بها اسماعيل الوالي في جبال كندكرو **(الماحي، د.ت، الصفحات 69-70)**.

المحاضرة الخامسة: دور المغاربة في نشر الإسلام في غرب ووسط بلاد السودان

الهدف الخاص:

- أن يوضح الطالب دور المغاربة في نشر الإسلام بالسودان الغربي والأوسط.

الاهداف الاجرائية:

- أن يحدد الطالب العناصر التي ساهمت في نشر الإسلام بالسودان الغربي والأوسط بشكل مفصل.
- أن يوضح الطالب دور الدول الإسلامية المغاربية في نشر الإسلام في السودان الغربي بشكل وجيز.

==========

تمهيد:

تعتبر بدايات انتشار الإسلام في وسط وغرب السودان، مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخ الفتوحات الإسلامية بشمال إفريقيا و الأندلس، فبعد فتح مصر واستقرار الوضع فيها اتجه عمرو بن العاص نحو إقليم برقة، وما يليه من بلاد المغرب، لنشر الدعوة الإسلامية، فكان هناك سلسلة من الحملات الإسلامية إلى بلاد المغرب التي استمرت سبعين سنة متقطعة ،بدأت بحملة عمرو بن العاص على مصر عام (18هـ/639م) وانتهت بحملة موسى بن نصير، التي فتح فيها المغرب الأقصى عام (90هـ/708م).

لقد وقفت عدة عوامل وراء طول مدة الفتح لبلاد المغرب وأهمها؛ اتساع البلاد وصعوبة التوغل في أراضيها، عدم انتظام الجيش الإسلامي، تدخل الروم لوقف الفتح الإسلامي و مقاومة الأمازيغ، إلا أن الاستجابة إلى الإسلام كانت أسرع من المشرق، بسبب عداء الأماريغ الشديد للروم وضعف تأثير المسيحية عليهم، لكن يبقى السبب الرئيسي في ذلك هو اقتناع المغاربة بهذا الدين السمح، الذي يدعو إلى توحيد الله وبساطته وخلق المساواة بين الفاتحين والسكان المحليين، فأقبلوا عليه أفواجا أفواجا حتى اسلموا جميعا **(الماحي، د.ت، الصفحات 59-60)**.

بفتح بلاد المغرب الإسلامي حمل العنصر المغاربي، رسالة المشرقيين ليضعها بأمانة في أيد أهل السودان الغربي والأوسط، وبقي راعيا للإسلام في تلك الديار بحكم الجوار، وحماية ظهره والدفاع عن وجوده، والعمل على ترسيخ جذوره، وتثبيت دعائمه، وتصحيح مسيرته باستمرار.

بعد عقبة بن نافع الفهري، ومن جاء بعده من الولاة العرب، قام مجاهدون مغاربة انحدروا جنوبا إلى فيافي الصحراء، ثم إلى ما وراءها، ليصلوا أرض السودان الغربي والأوسط عبر ممرات القوافل التجارية والمحطات التجارية المعروفة من؛ مراكش، ولاتة، أودغست ، تغازة، سِجلماسة، الأغواط، توات، عين صالح، طرابلس وغدامس وفزان، وغيرها من المحطات والمعابر الصحراوية القديمة. والسؤال المطروح هنا ما هي الوسائط المتعددة التي أوصلت الرسالة المحمدية إلى أهل السودان الغربي والأوسط ؟.

1- التجار:

لقد كان للعرب والبربر علاقات تجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء منذ زمن سحيق من الزمن، عن طريق القوافل التجارية التي تأتي من الشمال الإفريقي، ومصر ، وشبه الجزيرة العربية في مواسم مختلفة إلى هذه المناطق، وقد ألف سكان هذه المناطق هؤلاء التجار قبل انتشار الإسلام بها، كما شاهدوهم في صورة مغايرة أثناء حركة انتشار الإسلام؛ من التعالي والغطرسة إلى التواضع واللين، ومن التعامل بالربا، إلى تحريمه وفقا للشريعة الإسلامية، كما كانوا يجبرون الأفارقة على القيام بأعمال السخرة، ويتعبرونهم سلعة رائجة قام عليها ركنا هاما من أركان حياتهم الإقتصادية، الذي يتمثل في تجارة الرقيق **(الفيتوري، 1998م، صفحة 100)**.

لكن بعد اعتناقهم للإسلام؛ تغيرت سلوكياتهم ومعتقداتهم البالية فأصبحت كلها تسير وفق المبادئ الإسلامية السمحاء، فكان هؤلاء التجار هم الرواد الأوائل لنشر العقيدة الإسلامية بين الأفارقة، تعتبر حركة انتشار الإسلام العابرة للصحراء، الأثر الكبير في التاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي الإسلامي، فكانت القوافل التجارية العابرة للصحراء، تحمل معها عقيدة ولغة وحضارة ونمط في الحياة مثلما كانت تحمل السلع التجارية.

كان للتجار المغاربة الريادة في نشر الإسلام، في كل من السودان الغربي والأوسط، فكانت هناك جملة من الطرق مكنت من تغلغل الإسلام هناك مثل برقة، القيروان، تلمسان، طريق لمتونه، التي تصله بهذه البقاع، حيث انتشر الإسلام في أوساط أواسط مملكة غانا **(الماحي، د.ت، صفحة 85)** ،التي تحدث عنها البكري و الإدريسي خلال القرن 5هـ ، و لأن التجار المغاربة كانت لهم مكانة خاصة في المجتمع الغاني ،

شجع هذا الوضع التجار المسلمين على التوافد بكثرة إلى غانة، حتى أصبح الجزء الذي يخصهم من عاصمتها يحتوي على اثني عشر مسجدا **(البكري، د.ت، صفحة 175)**.

يذكر السعدي انه قد عاش بها كثير من العلماء و رجال الدين و الأدب و طلاب العلم، و كانت اللغة العربية هي لغة التعامل، ليس بين المسلمين فحسب ،بل في جميع أنحاء المملكة **(السعدي، صفحة 9)**، وقد ساهم عامل الأخلاق للتجار المسلمين آنذاك في تحسين صورة الإسلام في غرب السودان، و بذالك تهيأ للإسلام فرصة الانتشار والذيوع من خلال التجارة والتجار **(باري، د.ت، صفحة 39، 40.)**.

كما ساهمت التجارة في وصول الإسلام إلى الطبقة الحاكمة في بعض ممالك السودان الغربي، مثل مملكة غانا التي يوجد بها مستشارون مسلمون، حتى أن ارنولد يذكر أن التجارة و الإسلام في غرب إفريقيا مرتبطان كل الارتباط **(الجمل ش.، 1997م ، صفحة 86)**، و قد أصبح من العسير أن تضع حدا فاصل بين الدور الذي قام به التجار من جهة وبين دور العلماء ودعاة الإسلام من جهة أخرى **(مرجان، 2011 ، صفحة 35)**.

2- دور هجرة القبائل العربية والبربرية:

انتشر الإسلام في السودان الغربي والأوسط، أيضا بفضل هجرات القبائل العربية و البربرية، التي أخذت تهاجر إلى هذه القفار و بسط نفوذها ودينها الإسلامي هنالك ، و خصوصا بني سليم وبني هلال التي تقدمت تجاه الصحراء الكبرى ،و بالتالي نزحت القبائل المحلية جنوبا بعد اعتناقها الإسلام ، فتحركت قبيلة جدالة و عبرت نهر النيجر في طريقها إلى السودان الغربي **(باري م.، صفحة 47)**.

كما نجد لسكان توات الأثر البارز و الدور الكبير في هذا المقام، في نسج العلاقات الإسلامية، وهذا بحكم التقارب الجغرافي للمنطقتين **(جعفري، 2009، صفحة 167)**. و بديهي أن يكون بين الوافدين عدد كبير من الفقهاء والعلماء، و هذا ما أكده السعدي؛ أنه كان في تنبكتو وحدها مقبرة ضمت خمسين تواتيا كلهم من الفقهاء و العباد الصالحين **(السعدي، صفحة 60)**.

و قد كان لقبيلة كنته[1] دور في نشر الإسلام، سيما أنهم نسجوا علاقات خاصة مع أمراء ماسينا، ومن شيوخها سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير **(حوتية م.، د.ت، صفحة 127)**. و كذا نفس الشأن للقبائل الفولانية التي كان لهم أهمية ودور في نشر الإسلام لا يقل عن دور القبائل الأخرى **(باري م.، د.ت، صفحة 48)**.

3- دور الدعاة المغاربة:

كان الدعاة والفقهاء والعلماء يرافقون التجار في رحلاتهم نحو إفريقيا جنوب الصحراء، لتعليم وتثقيف الناس بأمور دينهم ودنياهم، فساهم هؤلاء في تشييد المدارس وانشاء المساجد، وكثيرا ما كانوا يختارون الطلاب النجباء، ويرسلونهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق العربي، أو الشمال بالمغرب الإسلامي، لكي يتتلمذوا على يد علماء الأزهر، مكة، القيروان، الزيتونة، طرابلس، فاس ومكناس ويعودون قادة الفكر في بلادهم **(الفيتوري، 1998م، صفحة 105)**.

وهكذا بمرور الوقت تكونت طوائف عديدة من الدعاة، وعندما كثر عددهم قام التجار ببناء بيوت لهم ببلاد المغرب الإسلامي، يعيشون بها طيلة الفترة الدراسية، كما كان التجار يقومون بخدمة هؤلاء الطلاب من نفقات ومصروفات، لغرض اقتناء الكتب والمخطوطات.

كما كان الداعي المسلم يمد القبائل الزنجية غير المتحضرة بكثير من الحقائق المتعلقة بالله والإنسان، تصل مباشرة إلى القلب والوجدان، بل يستطيع أن يمنحهم ترخيصا بالدخول إلى وحدة اجتماعة سياسية تتيح لهم حق الحماية والمساعدة في البلاد الإسلامية قاطبة- من المحيط الأطلسي إلى

---

[1] . **كنتة:** أصل قبيلة كنتة حسب الروايات الشفوية و المصادر المحلية يعود إلى عقبة بن نافع فاتح شمال إفريقيا، بعد وفاته تفرق نسله في مختلف مناطق بلاد المغرب، استقرت قبيلة كنتة بالصحراء بعد أن أصبحت الأوضاع غير ملائمة في المناطق الشمالية خلال القرنين 13م و14 م ، فارتبط تاريخ كنتة بإقليم توات، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى إفريقيا الغربية، عبر الطرق التجارية الصحراوية الرابطة بين توات و إفريقيا الغربية، حيث حملوا معهم لواء الدعوة الإسلامية استقروا بالأزواد. **للمزيد ينظر:** حوتية، **توات و الأزواد**، ج1، ص 66-69.

- يذكر الرحالة أن طوارق منطقة تنبكتو هم كنتة (Contah)، البرابيش (les Berâbisch) ، آقلاد (les Agled) ، تادماقت (les Tedmagt) ، أوليمدن (les Oulimeden) و بنتافوني (les Benta-Founy) ، تمتد أراضيهم من جني إلى زبرام (Zabram) قرب سيقو (Segtou) . **أنظر:**

- L'abbé Barges, **Le Sahara et le Soudan, documents historique et géographiques**, Just Rouvier libraire-éditeur, Paris, 1853, p 10.

صور الصين العظيم-، وإذا استطاع الداعي اقناع شيخ القبيلة بالإسلام فإن الرعية تتبع شيخها، حيث أصبح هؤلاء الحكام دعاة لنشر الإسلام في المناطق المجاورة ، أين تعاون التاجر والداعي في نشر الإسلام.

لكن؛ تبقى محدودة لأنها فردية، وقضية نشر الإسلام بصورة أوسع، يحتاج لوسائل أكبر وجهد جماعي منظم، وهذا ما ظهر في المرحلة الثانية، التي تمثلت في ظهور حركات إصلاحية دينية عملت إلى جانب التاجر والداعية. من بين الدعاة المعلماء المغاربة الذين كان لهم دور في نشر الإسلام في السودان الغربي نذكر:

- **عبد الكريم المغيلي:** ينتسب إلى مغيلة (تلمسان)، توفي سنة 909هـ/1503م بمنطقة توات، انتقل إلى فاس ثم السودان الغربي، و كان لشخصيته تأثير كبير على الناس ، يعتبر إماما، ومفكرا حيث أخضع الفكر الإسلامي للنقاش والحوار، واهتم بدفع طلابه وزملائه إلى الاحتكام بالكتاب والسنة. و له عدة مؤلفات مثل **"مغنى اللبيب في شرح مختصر خليل"**، **"أجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا الحاج محمد"** الذي تأثر بدعوته ومنهجه وحاول تجسيده في الميدان **(زبادية، 1989م، صفحة 151، 152.)**.

يعتبر الدور الذي قام به المغيلي لا يدانيه أي دور قام به عالم آخر في السودان الغربي والأوسط، وقد ترك أثرا إسلاميا كبيرا، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين **(الماحي، د.ت، الصفحات 112-113)**. بالإضافة إلى جهود علماء آخرين أمثال أبو القاسم التواتي و الإمام يحي التادلسي المغربي.

4- الطرق الصوفية:

لقد كانت الطرق الصوفية واسعة الانتشار في شبه الجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقيا، هذا الانتشار ساعد على استكمال الدور الفذ الذي يقوم به التجار والدعاة في المرحلة الأولى، وأيًّا كان التباين والتشابه بين هذه الدعوات، إلا أنها تتفق على هدف واحد وهو العمل بجد وهمّة على نشر الإسلام، وتعميقه في النفوس وإعلاء رايته وإزالة كل الشوائب، التي حاول المتحاملين على الإسلام إلحاقها به.

هذه الطرق الصوفية انتشرت انتشارا واسعا في المناطق التي يوجد بها فراغ روحي، فوجد الناس في الالتفاف حول شيخ الطريقة والانضمام لحلقات الذكر ، مرتعا للأمان والاطمئنان وتحقيقا للتوازن النفسي عند الفرد الإفريقي، مما سهل الدخول إلى الإسلام والتمسك به، حيث نشطت حركة الإحياء الديني، لتنتقل بعد ذلك إلى مرحلة الثورة على النظم الاجتماعية والسياسية، وقد شجع على ذلك ما

وجدته هذه الحركات من تأييد كبير عميق وسّع من قاعدة اعتناق الإسلام وانتشاره بين الأفارقة، وذلك عن طريق التربية والتعليم والجهاد.

لقد استطاعت هذه الحركات الصوفية، أن تُثبت وجودها في هذه المناطق وأن تحوّل الصحراء القاحلة إلى مناطق مزدهرة ومجالات حيوية، بعد أن بعثت فيها الحياة والطمأنينة، هذه المناطق التي يعتريها الكثير من العراقيل والصعاب، لاسيما التعرض المستمر للجوع والعطش والسلب والنهب الذي يقوم به قُطّاع الطرق واللصوص.

بفضل جهود الحركات الصوفية حولت الصحراء إلى مناطق آمنة ، بدأت تظهر مؤسسات دينية واجتماعية وثقافية، فبنيت فيها الزوايا والتكايا[1]، ذات سمات وخصائص إسلامية شملت نشاطاتها جوانب عدة منها؛ الثقافية، التربوية، الاجتماعية والاقتصادية، فكانت تقدم لغيرهم ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس، كما كانت تضم أماكن لتحفيظ القرآن، وتعليم القراءة والكتابة والوعظ والإرشاد بأمور الدين والدنيا بين الأفارقة، كما استطاعت هذه المؤسسات أن تحمي المسافرين الذين يحملون تراخيص العبور من قطّاع الطرق، وهذا يمثل منتهى القوة التي وصلت إليه هذه المؤسسات.

كما كانت هناك نظم سياسية واجتماعية واقتصادية، أقرها هؤلاء الرّواد لهذه المؤسسات وهي عند انخراط أحد الأفارقة في الإسلام وانضمامه إلى هذه المؤسسات، تتعهد له بتوفير فرصة العمل في مقابل إعاشته أو قيامه بتعليم مجموعة من المسلمين الآخرين؛ القراءة والكتابة أو بعض الحرف التي يجيدها ذلك الإفريقي **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 107-108)**.

لقد كان للطرق الصوفية مجالات غير التي كانت للتجار، فإذا كان التجار ينزلون في المدن، فإن صاحب الطريقة الصوفية يذهب إلى القرى والنجوع، فيقيمون حلقات للذكر ليلا، أين تغمر أصوات الذاكرين النجح، فيهرع الجميع إلى حلقات الذكر .

وهكذا كان للطرق الصوفية دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، لاسيما في السودان الغربي ووسطه **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 109-110)**، حيث اعتنقت أعداد كبيرة من

[1] .التكية؛ تعنى المأوى، وتعد التكية من المنشآت الدينية التي ظهرت في العصر العثماني، وهي امتداداً لفكرة "الخنقاواه" التي بدأت مع العصر الأيوبي وازدهرت في العصر المملوكي، وإن كان ثمة اختلاف بينهما، في العمارة والدور الذي كانا يؤديانه في المجتمع. أنشئت خاصة لإقامة المنقطعين للعبادة من المتصوفة ومساعدة عابري السبيل، كانت التكايا تُشيّد في أول الأمر بالجهود التطوعية ومساعدة بعض الممولين الأغنياء، وذلك قبل أن تتبنى الدولة العناية بها وإنشائها، وكانت في أول الأمر مبانيَ متواضعة ليست لها عمارة خاصة يشار إليها. ويطلق على التكايا الضخمة اسم "أستانة."

الأفارقة الإسلام وانخرطوا في هذه المؤسسات الدينية بشكل منقطع النظير، حتى أعداء الإسلام أنفسهم يشهدون بذلك، فنجد الرحالة جوزيف توسون عند حديثه عن انتشار الإسلام في إفريقيا قال: **" إذا بلغنا السودان الغربي والأوسط نجد الإسلام كجسم قوي فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام، كما كان في أيامه الأولى، فترى الناس تدخل فيه أفواجا وتقبل عليه إقبالا عجيبا، نرى فيه أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون وآخذة في إنارة بصائر القبائل المنحطة في الجهالة الآكلة لحم البشر عند منبع النيجر" (الزيادي، د.ت، صفحة 134.).**

ومن أهم الطرق الصوفية انتشارا في السودان الغربي نذكر القادرية و التيجانية، و ما انبثق منهما من طرق فرعية **(الجمل ش.، 1988م، صفحة 43)**. بالإضافة إلى هذه الطرق ،كانت هناك طريقة ثالثة وهي الطريقة السنوسية، لكن نفوذها كان اقل من نفوذ الطريقتين السابقتين **(باري م.، د.ت، صفحة 43)**. يمكن ذكر أهم الطرق انتشارا في بلاد السودان كما يلي:

- **الطريقة القادرية**: تنتسب إلى الشيخ أبو الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني، حيث كانت الطريقة الأولى التي تأسست في السودان الغربي أوسع انتشار في القرن الثالث الهجري، وقد دخلت على أيدي مهاجري توات **(سالمان، 2003م، صفحة 89)**. على رأسها سيدي احمد البكاء والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، حيث لا تكاد دولة في السودان الغربي إلا وتكون من أتباع القادرية، خاصة جني وتنبكتو **(قداح، صفحة 89)**، و لقد كانت أساليب هذه الطريقة في نشر الإسلام متعددة، و ذلك بتنظيم حلقات العلم و فتح المدارس، و تعليم أصول و أحكام الدين الإسلامي.

- **الطريقة التيجانية**: تنتسب إلى الشيخ احمد بن محمد التيجاني، و قد نشرها في غرب إفريقيا الحاج عمر الفوتى، و خصوصا في السنغال وقد ساهمت بشكل كبير في ترسيخ تعاليم الدين الإسلامي، و قد زاد أتباعها حتى أصبحت الطريقة السائدة في كثير من بلدان غرب إفريقيا **(الجمل ش.، 1988م، الصفحات 107-108)**.

- **الطريقة السنوسية**: و هي فرقة دينية صوفية تهدف إلى إصلاح شأن الإسلام ونشر عقيدته، حيث كان لها أثر كبير في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، و في حوض نهر النيجر بشكل خاص ،وقد تأسست هذه الطريقة على يد سيدي محمد بن علي السنوسي، وعملت على إنشاء الزوايا ونشر العلم في تلك الربوع، بالإضافة إلى مواقفها الحاسمة ضد الاستعمار **(باري م.، د.ت، صفحة 46)**.

5- الدول الإسلامية المغاربية:

5-1 الأدارسة:

بعد قيام دولة الأدارسة في المغرب، دانت لها المغرب كلها بفضل مبايعة سكان صنهاجة ولمتونة والملثمون من إقليم شنقيط لإدريس، هذه الوحدة التي جمعت هؤلاء السكان استطاعت الدولة الجديدة أن تعمل بنشاط على ترسيخ أقدامها بقوة في المغرب ودواخل إفريقيا، فأعلنوا الجهاد لنشر الإسلام في هذه الأقاليم، فانطلقوا من المغرب الأقصى إلى الصحراء الكبرى، التي تفصل المغرب عن إقليم بلاد السودان، وأصبحت ديار الملثمين خاضعة للأدارسة وجزءا من ممتلكاتهم.

هنا انتشر الإسلام بينهم وتقوى، فكان لإسلامهم تأثير بالغ على تاريخ المغرب والسودان، وقد قام في هذه الفترة تحالف ضم قبائل الملثمين الموجودة في كل المناطق بزعامة لمتونة، وأخذت تعمل على التوسع من جديد، لكنها لم تتمكن من ذلك، بسبب تطور قوة الأدارسة وحلفائهم بالمغرب، فلم يبق أمامهم إلا التوجه صوب الجنوب، فرفعوا رايات الجهاد في هذه المناطق، وأخذوا ينشرون الإسلام بين القبائل الزنجية المنتشرة بكثرة في هذه المناطق، لاسيما مملكة غانا الوثنية التي بدأت في التفكك، مع العلم أن نفوذها امتد بصورة واسعة حتى قضى عليها المرابطون **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 110-111)**.

5-2 المرابطون:

بعد ضعف دولة الأدارسة وانقسامها؛ خضعت المغرب للأمويين في الأندلس، ثم خضعت بعض أجزائها للفاطميين، ثم عاد الحكم للأمويين، عموما ظلت البلاد الغربية منذ قرنين من الزمن غارقة في حروب وصراعات، حتى قيام دولة المرابطين[1] في مستهل القرن الحادي عشر ميلادي، على أيدي صنهاجة التي كونت حلفا من القبائل التي كان أبرزها جدالة، لمتونة، مسوفة ولمطة، هؤلاء كانت إقامتهم في القرنين العاشر والحادي عشر ما بين خط طرابلس الغرب والمحيط الأطلسي، على الشريط الجنوبي من الشمال

[1] . **الرباط:** ظهر هذا المصطلح في القرون الأولى للإسلام، يقصد به المكان الذي يعتزل فيه جماعة من الزهاد، لأجل هدف واحد مشترك هو الدفاع عن الدين. وقد قامت الأربطة الإسلامية بدور كبير في نشر الإسلام والإصلاح في إفريقيا وذلك لوجودهم على طرق القوافل التجارية التي ارتبط بها انتشار الإسلام في هذه المناطق وكذلك طريق الحجاج.
تنقسم الأربطة الإسلامية إلى نوعين؛ أربطة سياحية وأربطة صحراوية، ومع مرور الزمن تطورت بعض الرباطات إلى مدن وقرى تجمع فيها السكان نظرا لتوفر الأمن وكسب العيش وطلب العلم، كما مثلت هذه الأربطة حلقات وصل بين مختلف مناطق القارة الإفريقية والمراكز الإسلامية، فأصبحت مراكز للدعوات الإسلامية التي انطلقت من الشمال الإفريقي والمشرق العربي الإسلامي وساعدت فيما بعد على إقامة الدول والممالك الإسلامية. **ينظر:** الفيتوري، دراسات، ص 113-114.

الإفريقي عند حدود بلاد السودان، حيث كانوا يمتلكون القسم الشمالي الشرقي من السنغال والنيجر، وفي هذه الفترة كانوا دخلوا الإسلام.

يعتبر عبد الله بن ياسين هو مؤسس الدولة المرابطية وزعيمها الروحي لهؤلاء المرابطين في صحرائهم، الذي حولهم إلى دعاة للدين الإسلامي بين القبائل الوثنية، من أهل السودان وتشاد والنيجر وغيرها من بلاد إفريقيا جنوب الصحراء. كما كان للرباط الذي بناه في جنوب السنغال، أثر كبير في نشر الثقافة الإسلامية في غرب السودان، كما كان لغيره من الرباطات التي نشأت من قبل قبائل صنهاجة الأثر البارز في هذا المجال .

كان للمرابطين دور فعال في نشر الإسلام في السودان الغربي، فقد كرس عبد الله ابن ياسين نفسه لهداية الناس ،و في سنة 447 هـ زحف المرابطون فوصلوا إلى سجلماسة، و في العام التالي غزوا بلاد السوس، حتى وصلوا إلى تخوم السودان، و قد استطاع دعاة المرابطين أن ينشروا الإسلام على ضفاف السنغال والنيجر **(الجمل ش.، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا .، 1998م، صفحة 10)**، بعدها بدأ المرابطون في تعليم القرآن وتلقين أحكام الدين الجديد، وذلك بالكشف لهم عن مفاسد الحياة التي يعيشونها **(حسن أحمد، د.ت، صفحة 144)**.

بهذا بدأ السكان الأفارقة يلتفون حول ابن ياسين، ولكن ملوك غانا لم يعتنقوا الدين الجديد، الأمر الذي أدى الى مهاجمة مملكة غانا عام 1056م، معلنا الجهاد ضد الوثنية، حيث انضمت القبائل الإفريقية التي أسلمت على يده إلى جيوشه، و لكن عبد الله بن ياسين مات عام440هـ/1059م، فتابع تلاميذه مهمتهم ففتحوا كومبي صالح عاصمة غانة عام1057م، يقول البكري في شأنهم: **« أن عبد الله ابن ياسين غزا اودغست , وهي بلد قائم العمارة ، مدينة كبيرة فيها أسواق و نخيل وأشجار الحناء، و هي قطر كثير الزيتون، و هي منزل ملك السودان» (التازي، 1987م، صفحة 17).**

بهذا اسلم سكانها و منذ ذلك التاريخ أخذ الإسلام بالانتشار في تلك البقاع، و هذا ما يؤكده الحسن الوزان الذي ذكر أن لابن ياسين رباط في حوض السنغال، و من ثم تابع خلفائه من بعده نشر الإسلام **(الوزان، 1983، صفحة 159)**.

3-5 الموحدون:

عند قيام دولة الموحدين أكمل هؤلاء ما قامت به دولة المرابطين، التي سقطت على إثر قيام دولة الموحدين، التي بسطت سلطانها على شمال إفريقيا والصحراء والأندلس مدة عشرين عاما، حيث وصلت

إلى بلاد السودان، فكان هناك اتصال بها وبين مملكة كانم وممالك غرب السودان، والدليل في ذلك؛ التشابه الواضح في طريقة الإصلاح، والمنهج الدعوي المتبع عند الموحدين والدعوات التي ظهرت في هذه الأقاليم عند المختار الكنتي، والشيخ عثمان دان فوديو وعمر الفوتي. بالاضافة إلى فكرة الإجتهاد في الشرع وعدم الإلتزام بمذهب معين والزعامة الروحية.

هذه الحركة تطورت مع تطور حركة التصوف ونموها بالمنطقة، لاسيما الطريقة القادرية التي انتشرت في عهد الموحدين، أين اتخذت من مدينة تكدا التي تقع في قلب الصحراء مقرا لها، حيث كان لها أتباع كثر من قبائل صنهاجة التي انتشر الإسلام عن طريق دعاتها بين الشعوب السودانية، أين صارت مدينة كانو في وسط السودان مركزا لنشاط رجال الدين، الذين قاموا بنشره على نطاق واسع في أقصى الجنوب، والغرب السوداني في فولتا العليا والسنغال، كما امتد نشاطها حتى شرق السودان والقرن الإفريقي **(الفيتوري، 1998م، الصفحات 117-118)**.

ففي عهد الموحدين تم تشجيع الفكر الصوفي في بلاد السودان من غربها إلى شرقها (من زنجبار إلى غينيا، بفضل الدعاة الذين ينتسبون إلى هذه الطرق، حيث قال عنهم أرنولد: **" كان نشاط هذه الجماعة ذا طابع سلمي للغاية يعتمد على الإرشاد كما يعتمد على التآخي ونشر التعليم" (الماحي، د.ت، صفحة 365)**.

❖ النشاط الإجمالي للمحاضرة:

السند:

إن الحضور القوي للمغاربة في السودان الغربي في فترة انتشار الإسلام خاصة، كان من نتائجه بروز مظاهر التأثير المغاربي في المنطقة في شتى مجالات الحياة (الدينية، التعليمية، السياسية، الإقتصادية، الثقافية والإجتماعية).

تعليمة:

في رأيكم؛ هل هذه القواسم المشتركة بيننا، قد حافظ عليها سكان منطقة السودان الغربي، أم أنها تلاشت بتلاشي طرق القوافل التجارية بين طرفي الصحراء؟.

المحاضرة السادسة: دور العنصر المحلي في نشر الإسلام ببلاد السودان

الهدف الخاص:

- أن يوضح الطالب دور العنصر المحلي في نشر الإسلام بالسودان الغربي والأوسط.

الاهداف الاجرائية:

- أن يشرح الطالب دور الملوك في نشر الإسلام بالسودان الغربي والأوسط بشكل مفصل.
- أن يبرز الطالب دور العلماء والفقهاء المحليين في نشر الإسلام بالسودان الأوسط والغربي بشكل وجيز.
- أن يشرح الطالب كيف ساهمت الحركات الإصلاحية الحديثة في تصحيح الإسلام بالسودان الغربي بشكل واضح ودقيق.

==========

تمهيد:

لقد كان لاعتناق الطبقة الحاكمة للإسلام ثورة متعددة الأبعاد، في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، حيث أسست عائلات حاكمة مسلمة أولى النماذج للمالك والإمبراطوريات السودانية الإسلامية، التي كان لها الفضل في نشر الإسلام بدواخل القارة، وبناء الحضارة الإفريقية من جهة، و إعطاء البعد الحضاري الإسلامي لإفريقيا جنوب الصحراء من جهة أخرى. كما كان للعلماء والفقهاء المحليين الذي تتلمذوا على يد المغاربة، الدور البارز في نشر وتعليم أبناء المنطقة وتوعية السكان بأهمية الدين الإسلامي في حياتهم ومعاملاتهم اليومية، الأمر الذي وسع من انتشار الإسلام في كل ربوع السودان الغربي والأوسط. في هذه المحاضرة سنحاول التعرف على أهم الملوك والعلماء الذين ساهموا في نشر الإسلام ببلادهم.

1- الملوك:

عرف السودان الأوسط والغربي؛ ممالك وثنية على قدر كبير من التنظيم والتطور قبل انتشار الإسلام في مناطقهم، فكان لملوكها علاقات تجارية وسياسية متينة مع دول المغرب الإسلامي، منذ الأيام الأولى لدولة بني مدرار في سجلماسة، التي كانت لها علاقات منتظمة مع السودان الغربي منذ القرن الثامن

ميلادي (2هـ) ، كما أن المصادر الإباضية، تذكر أن أئمة الرستميين بتيهرت قد ربطتهم علاقات دبلوماسية وتجارية مع مملكة غانة الوثنية آنذاك، إضافة إلى علاقاتهم مع مملكة كانم بورنو ومملكة السنغاي **(شعباني، دراسات ، الصفحات 9-10)**.

كان هناك تعايش كبير بين هؤلاء الملوك الوثنيين والجالية المسلمة هناك، ويذكر البكري أنه بمملكة غانة مدينتين واحدة سكنها المسلمون يوجد على مستواها 12 مسجدا، وأئمة ومؤذنون وفقهاء وحملة العلم، والمدينة الأخرى يوجد بها مسجد واحد لمن أراد من المسلمين أن يذهب عند الملك.

هذه الجالية المسلمة كان لها الدور الكبير في التأثير في الملوك الوثنيين، نتيجة الخلال الحميدة التي يتصف بها هؤلاء المسلمين، أين أصبح ملوك غانة يعتمدون عليهم في إدارة شؤون دولتهم، من الترجمان، وأمين بيت المال والوزراء، حتى أصبح ملوك غانة يقتدون بالمسلمين، حتى في لباسهم، ويتشبهون بهم لحسن أخلاقهم، وهنا أخذ هؤلاء الملوك يعتنقون الإسلام.

هؤلاء الملوك لم يكونوا في البداية شديدي الورع وعميقي الإسلام، فقد كان عليهم أن يراعوا الأعراف المحلية والمعتقدات التقليدية لأغلبية رعاياهم غير المسلمين، الذين كانوا يرون في ملوكهم واسطة لقوى عليا من الطبيعة، كما أنه لم يكن هناك من الملوك من فرض الإسلام في المنطقة، وهذا ما يفسر بقاء العشائر والطقوس الوثنية، في بلاطات ملوك مسلمين أمثال منسا موسى ملك مالي، أو الأسكيا الحاج محمد توري ملك السنغاي.

يعتبر ملك التكرور من المنتمين إلى اسرة نديای؛ أول من إعتنق الإسلام من بين ملوك السودان دون إكراه، والسبب في ذلك أن عبد الله بن ياسين الذي أقام رباطا في الساحل الجنوبي لنهر السنغال، كان سببا مباشرا في انتشار الإسلام بالمنطقة واعتناق ملكها التكروري واردیابي الإسلام، لما وجد فيه من جاذبية وتجانس ورقي اجتماعي وتفتح على العالم، فكان أهل التكرور وفي مقدمتهم أسرة آل واردیابي السباقة إلى اعتناق الإسلام، وهذا قبل استيلاء بن ياسين على مدينة أودغست **(شعباني، دراسات ، صفحة 15)**.

كما كان لابن واردیابي بعده الدور البارز في نشر الإسلام، بعد تحالفه مع جيش المرابطين ضد خصومهم من جدالة عام 1056م(448هـ) في معركة تبفريلي، لهذا نجد هذه المملكة قد حملت شهرة كبيرة عند المصادر العربية، بسبب أسبقية اعتناق أهلها الإسلام وظلوا متمسكين به.

من خلال مواصلتهم نشر الدعوة الإسلامية داخل مملكتهم، في فترة حكم وارجابي عام 1041م(432هـ) أقام في مملكته الشريعة الإسلامية وفرض على شعبه اعتناقه، وبالتالي فقد اصبحت كل المدن والإمارات التابعة لمملكة التكرور والممتدة من التكرور إلى غاية سيلا (غالام) كلها مسلمة، كما أن ملك سيلا رفع راية الإسلام في إمارته، وأصبح من محاربي كفارها لاسيما في مدينة قلنبو.

في الفترة ما بين القرنين الخامس والسابع الهجري (11 و14م)؛ زحف شعب الولوف على منطقة التكرور فأصبحوا يشكلون معظم سكانها، إلى أن أسس أحد رجال الدين التكروري "نديا ديان نديايي" إمارة الولوف والتي بدأت تفقد تدريجيا الآثار الإسلامية التي عرفها ملوك التكرور، لكن في منتصف السابع الهجري (13م) قام امبراطور مالي "سونديانا كيتا" بإعادة فتح مملكة التكرور من جديد.

أما عن ملوك الماندينغ أو ما يعرف بملوك ملل (مالي)، فإن أول من اسلم من ملوكها يسمى "المسلماني" الذي أسلم على أيدي فقهاء الإباضية، في منتصف القرن الخامس للهجرة (11م)، الذي ينتمي إلى أحدى الأسر المالنكية المشهورة في منطقة النيجر والسنغال العلويين، والتي يعود إليها الفضل في تأسيس مملكة مالي الإسلامية، التي حكمتها عائلة "كايتا" ما بين القرنين (11 و15م)، التي أدت دورا لا يستهان به في نشر الإسلام بمملكة مالي **(شعباني، دراسات ، الصفحات 16-17)**.

كما تبعه عدد من الملوك أشهرهم منسا موسى في نشر الإسلام في امبراطوريته، واهتمامه البالغ في تطبيق شعائر الإسلام بين رعيته، كما ساهم ببناء عدة مساجد في كل مرة يخرج فيها لأداء فريضة الحج مثل مسجد في تنبكتو، دوكوري، كوندام، ديري، حتى سمي بالملك الحاج.

نفس الشيء بالنسبة لـ منسا سليمان شقيق الملك منسا موسى؛ فعندما زار ابن بطوطة المملكة في القرن الرابع عشر ميلادي، وصف لنا وضع هذه المملكة وسلطانها الذي شبهه بسلاطين المسلمين وخلفائهم من خلال تدينه، وحبه للعدل وتقربه للفقهاء والعلماء وحرصه على الصلاة، حيث يذكر ابن بطوطة أن صلاة الجمعة مزدحمة جدا حتى أن المتأخر في الحضور لا يجد مكانا يصلي فيه.

كما عُرف ملوك السنغاي أيضا تمسكهم بالدين الإسلامي ونشره في أركان مملكتهم، ومن بين الشواهد على ذلك وجود؛ قبر لملك السنغاي أبي عبد الله محمد في بلدة ساني البعيدة عن مدينة جاو بأربعة أميال، كتب عليها **"هنا جثمان الملك الذي دافع عن دين الله"** عام 100م(494هـ)، كما أضيفت عبارة **"إن الملك مات من أجل انتشار الإسلام في غاو" (شعباني، دراسات ، الصفحات 19-20)**. حيث

كان ملوك غاو أشد الملوك اقتداء بالملوك المسلمين، فإذا ولي أحدهم ملكا قدم له خاتما وسيف ومصحف، يزعمون من خلالها بأن الخليفة أمير المؤمنين من الشرق هو من بعث به إليه.

أما أمير مدينة جني التي تأسست في منتصف القرن الثاني للهجرة (8م)، فإن أول أمير لها قد أسلم اسمه "كنبر" أواخر القرن الخامس الهجري (11م) في عهد المرابطين فحذى حذوة رعيته، حيث قام بتخريب السلطنة وحولها إلى مسجد كما بنى بيوتا حوله.

أما بالنسبة لإسلام ملوك السودان الأوسط؛ فيرجع إلى القرن الخامس للهجرة (11م)، عندما أسلم الملك الكانمي بولو ، حيث يمثل أول من دخل الإسلام إلى إقليم بورنو على يد "محمد بن ماني" الذي عاش فترة طويلة من الزمن في المنطقة أين عاصر فترة الملك حمادي، الذي أكمل مسيرة الملك بولو، حيث عاش في البلاط الملكي عهد حمادي وأسلافه، عدد من علماء الدين المسلمين يلقنون الحكام أنفسهم تعاليم الدين الإسلامي، ويدرسون معهم آيات القرآن، لكن لم يجاهر أحد منهم بإسلامه، لذا اعتبرهم البكري سودان مشركون.

بهذا يمكن القول؛ بأن ملوك السودان قد تقمصوا دور الدعاة في بلادهم، وكانوا على قدر كبير من الوعي الديني، رغم أنهم لو يرقوا إلى مستوى الفقهاء والعلماء، لكن ما يميزهم هو ايمانهم الشديد بالإسلام، فأدوا دورهم تجاه رعيتهم من تبليغ هذا الدين والحفاظ عليه، فراحوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون العدل ويجاهدون في سبيله، مع العلم أن الملوك الأوائل كان منهم من يخفي اسلامه ويتسامح مع رعيته غير المسلمين، فكانوا يراعون تقاليد شعبهم الوثنية، حيث حافظوا على تماسك مجتمعاتهم التي كانت تتحكم فيها الانتماءات العشائرية والطائفية أكثر من أي عامل آخر **(شعباني، دراسات ، صفحة 22)**.

الملاحظ أن تعلق الملوك بالدين الإسلامي يظهر جليا في فترة التواجد الأوروبي بالقارة، حيث ظهرت حركات إصلاحية محلية تدعو للعودة إلى الدين الإسلامي، فبعد الغزو المراكشي عاش الأفارقة في عزلة اقتصادية و تشرد العلماء، و بوصول الاستعمار عاد السكان إلى الديانة المحلية الوثنية ، فظهرت حركات إصلاحية ، مثل حركة الشيخ عثمان بن فودي الفقيه القادري الذي تأثر بدعوته بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ،على أساس انه أكثر الزعماء الأفارقة تأثرا بهذه الدعوة و أولهم.

ساهمت هذه الحركة في تدعيم ترسيخ الإسلام و يظهر ذلك من خلال محاولة الشيخ عثمان دان فوديو التوحيد الخالص بمحاربة كل ما يؤدي إلى الشرك، و رجوعه إلى القرآن و السنة، الأمر الذي أدى به إلى تكوين دولة كبيرة في غرب إفريقيا **(ذهني، 1988، الصفحات 34-35)**.

الإضافة إلى حركة الحاج عمر الفوتى الإصلاحية، التي كانت على الطريقة التيجانية التي تصدت للاستعمار **(فيج، صفحة 299)**، و حركة ساموري توري (1835م-1900م)، الذي اخذ منحى إسلامي لحركته أيضا ، و نجد الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا تتفق على ضرورة العودة إلى الإسلام و الكتاب والسنة والدعوة إلى الجهاد ضد الإحيائية ، والبدع والتقاليد الوثنية التي علقت بتعاليم الإسلام منذ قرون طويلة **(الماحي، د.ت، صفحة 171)**.

2- الدعاة الأفارقة:

من أهم الدعاة الذين ساهموا في نشر الإسلام في السودان الشرقي نجد؛ الشيخ "أبادير" الذي نشر الإسلام في عدوليس وهرر، كذا الشيخ "ابراهيم أبو زرباي" الذي انتقل إلى بربرة وممبسة وأمارتي هرر وعدوليس في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، لنشر الإسلام فيها وبناء مساجد ومعاهد ومراكز إسلامية.

كما برز الإمام "أحمد بن ابراهيم الاشول " في القرن السادس عشر؛ أين حرر الصومال من المعتقدات الفاسدة ونشر الإسلام في مناطق كثيرة، كما ظهر الشيخ "حسن بن عبد الله حسن " في القرن التاسع عشر، فدعا إلى الإصلاح والجهاد في وجه أعتى أربع قوى عالمية وهي ؛ بريطانيا، فرنسا ، ايطاليا والحبشة. ومن هنا مكن القول أن الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام قد ساهموا مساهمة فعالة في نشر الإسلام، وتأصيله في النفوس وتأمين استمراره في شرق إفريقيا **(الماحي، د.ت، الصفحات 48-49)**.

أما عن السودان الغربي نجد؛ أحمد بابا التنبكتي[1] الذي كان له دور كبير في نشر العلم والإسلام في السودان الغربي، قبل أن يسقط أسيرا بين يدي جيوش السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي، عند

[1] . أحمد بابا التنبكتي: أحمد بابا التنبكتي (1555م /1622م)من أروان تنبكتو، نشأ في أسرة عريقة في العلم، تولى غالبية أفرادها مناصب القضاء، درس علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية على جده وأبيه، وبذل حياته للتدريس والتأليف لما يربو عن 50 مؤلفا، من أهم مؤلفاته؛ " نيل الإبتهاج بالذيل على الديباج" و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"، هذان الكتابان من أهم كتبه، إذ يتوفران على معلومات قيمة في شتى الجوانب الثقافية، الاجتماعية، السياسية و الإقتصادية، كما أن هذان الكتابان يعتبران سجلا لأعلام الاندلس، والمغاربة من ليبيا إلى المغرب الأقصى، ما جعلهما أهم المصادر لتلك الفترة في جميع أنحاء العالم الإسلامي حتى اليوم، لأنهما في الواقع موسوعة في الحركة الدينية المغربية، التي ضمت كثيرا من رجال الدعوة الإسلامية المخلصين. **ينظر:** عبد الرحمان ماحي، الدعوة الإسلامية، ص 114.

غزوهم لتنبكتو هو و 169 عالما، وبعد عودته إلى بلاده 1605م، واصل حياته العلمية، تتلمذ على يده عدد كبير من أبناء مالي والسنغاي وبورنو، منهم عبد الرحمان السعدي (1592م/1655م) المؤرخ الشهير بمؤلفه "تاريخ السودان" **(الماحي، د.ت، الصفحات 114-115)**. هذا الأخير الذي قام بنشر الدعوة الإسلامية في عدة مناطق، وأصبح عام 1626م إماما لمسجد سنكورة في جني، كما سافر كثيرا فكان داعيا للإسلام في كل مكان يحل به لاسيما في السودان الغربي وضواحيه. في عهد محمد بن عثمان باشا عام 1646م استدعاءه ليشغل منصب ناظر خارجية، ظل به حتى وفاته.

3- الحركات الإصلاحات الحديثة:

إن الممالك التي عاصرت ظهور الأوروبيين بسواحل غرب إفريقيا؛ كان جلّ ملوكها نقمة على سكان المنطقة، بسبب تجارة الرقيق التي أقحمت نفسها فيها، أين أحدثت هذه التجارة تأثيرات مختلفة ومتباينة على جميع ممالك غرب إفريقيا، كما أثّرت كذلك على جميع الولايات الصغيرة والمشيخات القبلية التي كانت تستوطن تلك المناطق، فالدول والممالك القوية استطاعت أن تحقق ثراءً واسعًا من تجارة العبيد، بينما عانت الممالك والولايات الصغيرة من هذه التجارة أشدّ عناء.

يبدو أنه من آثار تجارة الرقيق؛ ظهور دول جديدة مستقلة مع بدايات القرن التاسع عشر ومن أمثلة ذلك نجد؛ أنه في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون والانجليز يتنازعون حول السنغال، تم تأسيس دويلة لُبو (Lebou) في شبه جزيرة الرأس الأخضر، من قبل مجموعة من سكان المنطقة للتخلص من هيمنة الدامل في مجتمع الولوف، حيث انتفضوا في الكايور ودواندار (Duander) وانظم إليهم سكان دكار وآن (Hann) ويوف (Yof) ونقور (N'gor) بقيادة منغول مبنقي (Mangoul M'bengué) ودايل ديوب (Dial Diop)، حيث جرت معركة قوية في بكين (Pikine)، لوفو (Lofo)، بوبو (Popo) بين هؤلاء والدامل، انتهت باستقلالهم وعيّنوا دايل ديوب رئيسا لهم عام 1797م وأعدّوا دستورا دينيا عرقيا. وفي 1812م اعترف الدّامل باستقلالهم وبحدود إقليمهم **(Mercel، 1968، الصفحات 82-83)**.

كما طفا على السطح؛ قيام ممالك إسلامية قوية بالمنطقة، قام معظمها على أساس فكرة الإصلاح الديني ونشر الإسلام ولعل أهم الممالك الإسلامية التي ظهرت في إفريقيا الغربية نجد؛ مملكة الفولاني في بلاد الهوسا التي تأسست في القرن التاسع عشر، حيث كانت مدينة سوكوتو عاصمة لهذه المملكة التي أخذت على عاتقها نشر الإسلام من جديد.

لكن معارضة أمير جوبير ومقاومته لعمر الفوتي انتهت بهزيمته عام 1804م، فضمت عدة مدن تحت سلطانه ومنها كاتسينا، كانو، زاريا وأدموا وجزء من بورنو، وبعدها تم ضم الكلوة عاصمة جوبير وكانو ومملكة البورنو، ولم يأت عام 1814م حتى كان الشيخ عثمان دان فوديو قد أخضع معظم بلاد الهوسا ووحّدها تحت سلطانه، وظلت هذه المملكة قائمة إلى غاية سقوطها يوم: 14 مارس 1903م على يد الاستعمار البريطاني **(عطية، 2010، الصفحات 74-75)**.

كما قامت مملكة ماسينا الإسلامية بين السنغال والنيجر بزعامة أحمدو لوبو، الذي أسس مدينة "حمد لله" عام 1815م، حيث امتد سلطانه حتى تنبكتو شمالا والفولتا في الجنوب الشرقي وكالا غربا، أين استطاع أحمدو لوبو بفضل جهوده أن يُكوّن دولة إسلامية في منطقة النيجر الأوسط، ونشر الإسلام والقضاء على حكام سيجو الوثنيين (الولوف)، حيث كوّن دولة على غرار دولة الفولاني في أراضي الهوسا.

تشير الكتابات التاريخية؛ أن العلاقات بين الدولتين قد توطدتا وانتعشتا اقتصاديا وثقافيا وتوافد التجار وطلاب العلم عليهما من كل حدب وصوب، لكن في منتصف القرن التاسع عشر قضى عليها المجاهد الحاج عمر التكروري، فبدأت المنطقة تدخل في طور جديد تحت حكم حركة إصلاحية بقيادة تكروري **(الماحي، د.ت، الصفحات 154-155.)**. أين مدّ نفوذه لتشمل منطقة السنغال، غامبيا، غينيا وساحل العاج وغانا، لكن عندما بدأ احتلال فرنسا لبعض أجزاء دولته الإسلامية طلبوا منه إقامة خط حديدي يربط نهر السنغال بنهر النيجر ويُعطي الفرنسيين امتيازات، فرفض قبول الحماية الفرنسية، لكن بعد مؤتمر برلين (1884-1885م) تم القضاء على دولته وضمّها للأملاك الفرنسية **(الماحي، د.ت، الصفحات 159-160.)**.

❖ نشاط إجمالي للمحاضرة:

السند:

رغم أزلية العلاقات التاريخية والتجارية بين بلاد السودان والمغاربة وبلاد المشرق العربي، إلا أن الملاحظ بعد ظهور الإسلام وانتشاره في بلاد السودان عن طريق المغاربة والمشارقة كان له الأثر العميق في إحداث تغييرات جذرية على مستوى بلاد السودان.

التعليمة:

قم بتحرير نص تاريخي لا يتجاوز 500 كلمة، توضح فيه كيف كان لعامل الإسلام والعناصر الفاعلة في نشره إحداث مؤثرات مختلفة الجوانب على الحياة العامة لبلاد السودان.

المحور الثالث

ممالك السودان الغربي

المحاضر السابعة: مملكة غانة

1- التسمية و الموقع.
2- التاريخ السياسي لمملكة غانة.
3- الجوانب الحضارية لمملكة غانة.
4- سقوط مملكة غانة

المحاضرة الثامنة: مملكة مالي

1- التسمية و الموقع.
2- التاريخ السياسي لإمبراطورية مالي.
3- الجوانب الحضارية لإمبراطورية مالي.
4- سقوط مملكة مالي

المحاضرة التاسعة: مملكة السنغاي

1- التاريخ السياسي لمملكة السنغاي قبل الأسكيين.
2- التاريخ السياسي لمملكة السنغاي في عهد الأسكيين.
3- الجوانب الحضارية لمملكة السنغاي.
4- سقوط مملكة السنغاي

المحاضرة السابعة:
مملكة غانة

الهدف الخاص:

- أن يشرح الطالب كيف انتقلت مملكة غانة من الوثنية إلى الإسلام في ظل تطوراتها السياسية والحضارية بالسودان الغربي.

الاهداف الاجرائية:

- أن يبين الطالب كيف قامت وتوسعت امبراطورية غانة بشكل موجز ودقيق.
- أن يوضح الطالب التطورات السياسية والحضارية خلال فترة حكم مملكة غانة باختصار دقيق.
- أن يفسر الطالب أسباب سقوط مملكة غانة بمفرده ودون اسهاب.

==========

تمهيد:

الثابت أن التاريخ السياسي للسودان الغربي قد عرف تعاقب ممالك قوية حكمت المنطقة لقرون عديدة؛ و تعتبر مملكة غانة من أولى الممالك التي ذكرتها المصادر التاريخية في السودان الغربي، لكن لسنا ندري إن كان هناك ممالك أخرى قد قامت على اديم هذه المنطقة قبل القرن الثالث ميلادي، في حين ذكرت جُل المصادر العربية باقي الممالك التي نشأت بعد سقوط مملكة غانة، مثل مملكة التكرور ومالي والسنغاي التي تعتبر من أقوى الممالك قوة واتساعا في السودان الغربي وآخرها، مع نهايات القرن السادس عشر على إثر الغزو المغربي على المملكة.

1- التعريف بغانا:

أول ما يمكن الإشارة إليه أن إسم غانا لا نقصد به دولة غانا أو ما يسمى ساحل الذهب سابقا، فكلا الإسمين لا يمتان بصلة إلى بعضهما البعض، فغانة التي نتحدث عنها هي تلك المملكة القديمة التي نشأت في إقليم السودان الغربي، على ضفاف نهري السنغال والنيجر منذ القرن الثالث للميلاد، وهي أقدم مملكة عرفها السودان الغربي حسب ما ذكرته المصادر العربية.

عُرفت عند الرحالة والجغرافيين والمؤرخين ببلاد التبر أو بلاد الذهب، نسبة إلى احتواء أراضيها الجنوبية بالذهب فوق كل التصورات البشرية، فكان هذا المعدن سببا مباشرا في تطورها، حيث عرّفها ياقوت الحموي ببلاد التبر وذكرت في المصادر الأجنبية ببلاد واغادو (Wagadou) نسبة إلى مدينة واغادو **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 35)**.

2- الموقع الجغرافي:

لقد ظهرت مملكة غانة على الأرجح في القرن الثالث ميلادي **(زبادية، مملكة السنغاي، صفحة 17)**، عاصمتها كومبي صالح، وقد امتدت هذه المملكة من منحنى نهر النيجر الأعلى في الشرق عند مملكة الصوصو ومنابع نهر السنغال في الجنوب عند مملكة التكرور، كما أصبحت حدودها تتاخم الصحراء في الشمال نهاية القرن العاشر والحادي عشر ميلادي[1].

3- الشعوب التي حكمت مملكة غانة:

3-1 فترة حكم البيضان في غانة:

يعود التأسيس الأول لهذه المملكة إلى عناصر بيضاء بربرية، التي استقرت في منطقة الأوكار منذ حوالي عام 150م، وبعدها لحقت بهم مجموعة أخرى من البيضان من منطقة توات، حيث فرض هؤلاء سيطرتهم على شعب السوننكي المحلي عام 300م فحكموا مملكة غانة، أين تداول على عرش غانة من البيضان حسب السعدي 22 ملكا من عام 300 إلى 620م أو 720م **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 35)**.

وفي القرن الثامن الميلادي؛ قام أحد ملوك البيض بقتل أحد رجال السوننكي والذي يدعى بنتيغي دوكوري (Bentigui Doukouré) لاتفه السباب، وقد كان هذا الرجل مفضلا عند زعيم العائلة التي كانت تحكم غانة قبل البيضان، أين وضعت أرملته ولد وربوه حتى كبر ثم أخبروه بحقيقة الأمر، فقام الإبن بالإنتقام لابيه، وقتل الملك البيضان واستلى على العرش مدعوما بالسوننكي، وبهذا انتهى حكم البيضان في غانة عام 790م.

[1] . امتدت غانة على مساحة شاسعة، اين شملت موريطانيا والجزء الشرقي من السنغال، وبعض دولة مملكة مالي، حيث قامت في الأقاليم الواقعة بين نهر السنغال والنيجر منذ القرن الأول الميلادي حتى عام 1240م.

2-3 فترة حكم السوننكي في غانة:

بعد اعتلاء السوننكي ابن بنتيغي العرش عام 790م، حدث شرخ داخل المجتمع السوننكي في واغادو، أين توجه ملك واغادو "كايا ماغان" مع عدد كبير من الأوكر وأطاح بابن بنتيغي، وأصبح هو امبراطور المملكة رغم مقاومة البيض له. حيث أصبح الحكم تتداوله أسرة السيسي التي نتحدر من سلالة كايا ماغان.

لقد كان هذا الملك أقوى ملك في السودان الغربي حسب شهادة ابن خلدون، حيث اصبحت مملكته تمتد إلى غاية منطقة الساحل غربا، ونهر النيجر شرقا ومنطقة التكرور جنوبا، وإلى مناطق وجود الذهب في الونغارا وأرض اللملم من الكفار المهملين **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 37)**.

هذه المملكة كانت في صراع دائم مع القبائل الصنهاجية اللمتونة، لأجل السيطرة على مدينة أودغست التجارية، التي كانت في يد قبائل لمتونة عهدا من الزمن، قبل أن يعيدها السودان الغانيون عام 990م **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 38)**.

4- المظاهر الحضارية لغانة:

1-4 الجانب الثقافي:

تعد مملكة غانة مثالا في التسامح مع الديانات والأجناس الأخرى، حيث يذكر البكري بأن العاصمة الغانية تتألف من مدينتين؛ مدينة تجارية يقصدها ويسكنها المسلمون بها 12 مسجدا، ومدينة سياسية يسكنها الملك والكفار والوثنيون وأصنامهم وسحرتهم، إلى جانب مسجد للوافدين المسلمين عند الملك.

تعد مدينة الغانيين الوحيدة من مدن السودان التي بنيت بالحجارة حسب ما ذكره العرب، تحفها أشجار الصمغ، فكان قصر الملك محاط بسور وحوله أكواخ مصنوعة من الطين وسقف مخروطي مصنوع من القش، بالقرب من المحكمة الملكية وجد هناك مسجد للمسلمين، لغانة يذكر الإدريسي أن قصر الملك قد أعيد بناءه خلال سنة 510 هـ ، أي بعد الفتح المرابطي لغانة، حيث شيد بشكل محكم ومنقوش ومصبوغ مزين بشمسيات الزجاج. كان الملك وابن أخته ولي عهده يلبسان المخيط من الثياب، بينما يلتحف البقية بملاحف القطن والحرير، أما النساء فإنهن يحلقن رؤوسهن **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 37-38)** .

2-4 الجانب العسكري:

كان ملك غانة خلال القرن الحادي عشر، قبيل الغزو المرابطي مهيب السلطة، يمتلك جيشا قويا يصل إلى 200000 جندي و40000 من الرماة، وكان جيشه يمتلك كتيبة من الفرسان **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 38)**.

3-4 الجانب السياسي:

أ. نظام الحكم:

كان نظام الحكم في مملكة غانة يقوم على توريث الملك إبن خته أو أبن أخيه وليس ابنه، حيث نجد الملك "مين" والملقب "تونكامين" هو ابن أخت الملك "بسي" الذي سبقه في العرش الملكي. وقد ذكر البكري أن أهل السودان يشكون في نسبة أبنائهم إليهم بينما لا يشكون في صحة نسبة إبن أختهم .

ب. القضاء:

كان الملك من يتولى القضاء فكان يجلس على قبة أمام الناس وتحيط به عشرة خيول يلبسونها الذهب، ووراءة عشرة غلمان يحملون السيوف المصنوعة من الذهب، كما يجلس أمامه على الأرض والي المدينة والوزراء يحيطون به، وكذا أهل الوثنية والمسلمين.

يذكر الإدريسي عن عدل الملك الغاني؛ كان يقوم بجولتين كل يوم صباحا ومساء يتفقد فيها أحوال الناس، فكان يمشي في أزقة العاصمة وأروقتها، فمن كان له مظلمة أو شكوى يقف بين يديه ويسمعه حتى يقضي مظلمته وهذا كله تحقيقا للعدل **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 39-40)** .

4-4 الجانب الاقتصادي:

لقد كانت التجارة هي الشريان الرئسي في غانة بسبب سيطرتها على مناجم الذهب في غيارو، البامبوك والونغارا، وكذا سيطرتها على الطرق التجارية المؤدية إلى مناجم الذهب، فكما قال ابن الفقيه:" **بلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس**".

وترجع قوة المملكة وتوسعها ايضا إلى استعمالها للحديد قبل غيرها من القبائل السودانية، وتنظيمها للتجارة؛ خاصة تجارة الذهب والملح وفرض الضرائب على القوافل التجارية، مما وفر لها مداخيل مالية مهمة **(البكري، د.ت، صفحة 176)**. وكان الملك يفرض ضريبة دينار من الذهب على كل

حمل حمار واحد من الملح داخل بلاده، ويفرض ضريبة ديناران من الذهب على كل حمل حمار من الملح خارج بلاده، أما الضريبة المفروضة على بقية السلع فهي عشرة مثاقيل من الذهب، فقد كان الملك يحتكر الذهب حتى لا تقل قيمته إذا كثر بين أيدي الناس، في المقابل كان يترك للناس مسحوق الذهب أو التبر **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 41)**.

5- سقوط مملكة غانة:

إن الرخاء الإقتصادي للملكة جعلها محط أطماع جيرانها خلال القرن الحادي عشر ميلادي، بعد ظهور دعوة عبد الله بن ياسين والحركة المرابطية، باتحاد قبائل مسوفة وجدالة ولمتونة، التي تعززت قوتها من وفرة عددها والأرباح التي تجنيها من مراقبتها للطريق التجاري سجلماسة-غانة.

بعد تعرض مملكة غانة لهجمات المرابطين ضعف ملكها، حتى بعد انسحاب المرابطين منها تاريكين الحكم لملوكها، لكن الأقاليم التي كانت تابعة لها أخذت تنفصل عنها الواحدة تلوى الأخرى، وبالتالي تقلصت مساحتها إلى أن انتهت بسقوط العاصمة كومبي صالح في أيدي حكام الصوصو الوثنيين، حيث يذكر ابن خلدون أمر سقوط غانة بقوله: **" ثم أن أهل غانية ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلي البربر كما ذكرناه، وعبروا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم و اقتضو منهم الأتوات والجزي، وحملوا كثيرا منهم على الإسلام فدانوا به. ثم اضمحل ملك أصحاب غانية وتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان واستعبدوهم وأصاروهم في جملتهم" (ابن خلدون، تاريخ العبر، صفحة 266.)**.

إذن؛ بعد أن تقلصت مساحة حكمهم بسبب خروج بعض القبائل عن نفوذهم مثل قبائل الصوصو ، استولى الصوصو على عاصمة غانة ودخلوا في نزاع مع منافسين آخرين لهم من قبائل الماندينغ، التي تغلبت بدورها على قبائل الصوصو عام 1235م، مكونة بذلك مملكة مالي التي ورثت أملاك غانة باستيلائها على عاصمتها عام 1240م**(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 42-43)**.

المحاضرة الثامنة:
إمبراطورية مالي الإسلامية

الهدف الخاص:

- أن يشرح الطالب كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية في التكوين السياسي والتطور الحضاري لامبراطورية مالي الإسلامية في السودان الغربي.

الاهداف الاجرائية:

- أن يبين الطالب كيف قامت وتوسعت امبراطورية مالي بشكل موجز ودقيق.
- أن يوضح الطالب التطورات السياسية والحضارية لإمبراطورية مالي باختصار دقيق.
- أن يفسر الطالب أسباب سقوط امبراطورية مالي بمفرده وبدقة.

==========

تمهيد:

يعتبر إمبراطورية مالي، من الإمبراطوريات الإسلامية القوية التي ظهرت على أنقاض مملكة غانة، تم تأسيسها من قبل شعب المالنكي الذي يتسم بالشهرة في منطقة النيجر والسنغال العلويين عن باقي الشعوب هناك، وهذا بسبب الدور البارز الذي أدته هذه الجماعات المانديةفي التاريخ الحضاري للمنطقة مثل الديولا، البمبارا والونغارة، هذه الجماعات تعد أكثر انسجاما وتنظيما بين مجموعاته المختلفة.

ولما كانت بلاد الماندي مقسمة إلى إمارات وعشائر متنافسة فيما بيها، كان لابد أن تبرز إمارة على حساب إمارة وعشيرة على حساب إمارة وعشيرة أخرى، حيث برزت عائلة كيتا وسيطرت على كل العشائر المانديةمؤسسة بذلك مملكة مالي التي سرعان ما بدأت تكبر وتتوسع مشكلة بذلك امبراطورية بلغت جميع الممالك القديمة وأخضعتها لسيطرتها (**شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 45**).

1. **تأسيسها:**

تعتبر أسرة كيتا المالنكية من أولى الممالك التي اعتنقت الإسلام في وقت مبكر (442هـ/1050م)، إلا أن المصادرالعربية بقيت تفتقد للمعلومات الخاصة بالبدايات الأولى لامارة الماندينغ، والتي كونت فيما

بعد امبراطورية مالية. إلا أن المصادر الشفوية تتفق على أن عائلة كيتا تعد من أهم خمسة وثلاثون عشيرة مالنكية منذ أزمنة غابرة جدا، حيث استقوا حول نهر النيجر بالأخص الجزء الغربي منه، وفي شرقي السنغال وجنوبه، بالإضافة إلى ضفتي نهر غامبيا وغينيا بيساو.

ما يمكن قوله؛ أن إمارة الماندينغ عرفت تحولا كبيرا في القرن (7هـ/13م)، حيث كان يحكمها ملك من أسرة كيتا يدعى "ناري فامغان" ما بين (615-628هـ/1218-1230م). كان له إثنا عشر طفلا قُتلوا أثناء هجوم الصوصو على إمارة الماندينغ، ولم ينجوا منهم سوى ابنه الصغير "ماري دياتا" أو "سوندياتا".

تروي الرواية أن سمنغور احتقره بسبب عاهته، كونه لا يقف على رجليه فعاش طفولة صعبة وظل معقدا لفترة طويلة، وكانت أمه "سوغولون كوندية" موضع سخرية زوجات الملك "ناري فاماغان"، لكن تشاء الأقدار أن يتمكن "سوندياتا" من المشي وهو في السن السابعة من عمره، فأصبح يتزعم أقرابه، لكنه اضطر للهرب من الإضطهاد رفقة أمه وأخته، وتوجه نحو غانة في كومبي صالح التي احتضنته، أين أعجب به ملك "منسا تونكارا" فأوكل له مسؤوليات كبيرة.

كوّن جيشا نظاميا قويا، الأمر دفع أهل إمارة الماندينغ باستدعاءه، فلبى الدعوة وانضمت إليه كل جيوش العشائر المانديـة، عندما تجهز هذا الجيش الكبير أعلن "سنديـاتا" الحرب على زعيم الصوصو الملك "سمنغورو كانتي" قاتل أبيه وأخوته ومنهك حرمة وطنه، وقد كان ذلك عام (631هـ/1235م) بمنطقة كيرينا، أين انتصر سنديـاتا كيتا على سمنغورو **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 46-48)**.

بهذا الإنتصار؛ انتزع سنديـاتا من ملك الصوصو ملك غانة، وتوجه نحو الشرق بفتوحاته في فوتا جالون والنيجر وجني، فما إن حلّ عام (638هـ /1240م) حتى أصبح "سوندياتا كيتا" يتربع على عرش امبراطورية كبيرة، فاجتمع بكل الماندينغ والمناطق الخاضعة له بمنطقة " كوروكنفوقا" قرب "كنقابا"، وهي إحدى المدن المالية الواقعة على نهر النيجر، أين منح كل واحد من حلفاءه جزء من مملكته، كما بايعه زعماء القبائل الخاضعة له واعترفوا له بالأمبراطور. كما قام بنقل عاصمة الإمبراطورية إلى "نياني" بدلا من "جليبا" التي كانت تمثل عاصمة المملكة القديمة، لأنها لم تعد تصلح ولا تتسع لبلاط الملك ونشاط دولته **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 49)**.

2. حدودها:

لقد كان عام (638هـ/1240م) بداية اعتلاء "سوندياتا" عرش الإمبراطورية المالية، التي توسعت حتى بلغت حدود بلاد البورنو، وباتجاه الشمال بلاد البربر، أما جنوبا أصبحت تحاذي بلاد الهمج الوثنيين، كما بلغ جهة الغرب البحر المحيط **(دافيدسون، 1961، صفحة 147)** و **(السعدي، صفحة 9)**.

3. التطور السياسي والحضاري في مملكة مالي :

تعد مرحلة حكم سندياتا؛ مرحلة التأسيس والإنطلاق للإمبراطورية، ومن أبرز الإنجازات التي قام بها سوندياتا خلال فترة حكمه نجد؛ في إطار توسيع الإمبراطورية قام سندياتا بتوجيه حملات عسكرية من العاصمة نياني باتجاه الغرب، لتوسيع حدود مملكته وضم أهم حقول الذهب الكبرى مثل البامبوك وبوري ، حيث بلغت فتوحاته أسفل نهر السنغال ونهر غامبيا والتكرور ، ولعل أبرز الادوار التي بلغتها مالي خلال هذه الفترة ترجع إلى جهود الملك سوندياتا في توسيع الإمبراطورية.

بالنسبة للجانب العسكري؛ قام سندياتا بإنشاء جيش نظامي قوي ومدرب، بحث يقود كل فرقة منه قائد دائم يلقب بـ"كيلي بولون"، بينما يتولى قيادة الجيش الملك شخصيا ويلقب بـ"كيلي تيجي"، كان الجيش ينقسم إلى: الخيالة المسلحة بالسيوف، جيش المشاة بالفؤوس والسهام والحراب الطويلة **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 50)**.

تشير الروايات المحلية إلى أن سوندياتا كان مهتما بالجانب الزراعي، حيث أدخل إلى مالي زراعة القطن والفول السوداني وغيرها من المزروعات، كما أولى اهتماما بتربية الحيوانات.

كما اتخذ أمراء الماندينغ لقب "منسا" لاول مرة في تاريخهم ومعناه السلطان. قام سوندياتا بتشكيل جمعية عامة انبثق عنها نظام شبه فيدرالي وولى على كل جزء من مملكته أحد حلفاءه من الماندينغ.

بعد وفاة سندياتا خلفه ابته "منسا ولي" والذي حكم بين عامي (653-668هـ/1255-1270م) وكان من أعظم ملوكهم، حيث شهدت فترة حكمه اتجاه الإمبراطورية نحو اللامركزية، بعدما أقطع الأراضي لقادته الكبار، وبعد وفاته خلفه "أبو بكر الأول" الذي كان ابن بنت سندياتا على اعتبار أنه لم لسندياتا إلا ابن واحد وهو "منسا ولي"، لكن فترة حكم "أبو بكر الأول" اتسمت بالضعف وكثرت الخلافات حول العرش في عهده فتلاشت قبضته على الإمبراطورية، لهذا فإن وفاة "أبو بكر الأول" عام (683هـ/1285م)

أحدث غموضا في تاريخ مالي، وواجه الإمبراطورية مشكلة من يخلفه على العرش **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، صفحة 52)**.

وفي ظل هذه الفوضى ظهر رجل من القادة العسكريين والذي كان من العبيد في السابق قبل أن يتحرر، وهو "سكورة"، أين استولى على العرش عام (683هـ/1285م)، ونصب نفسه إمبراطورا جديدا على مالي، وبالتالي يعد هذا الأخير أول امبراطور لا ينتمي إلى عائلة "كيتا".

لكن مع مرور الوقت تبين أن "سكورة" ملكا كفءا، بارعا في الحرب وفي السياسة، حيث استطاع أن يعيد لمالي هيبتها وعمل على توسيعها أكثر، حيث مدد حدودها شرقا على حساب مملكة كوكو، أما غربا فقد ضم منطقة مسينا وأصبح ملك التكرور تابعا له، كما تميز سكورة بالتقوى والإيمان، حيث استطاع أن يعيد لمالي الأمن والإستقرار إلى أن قُتل عام (700هـ/1300م)، وهو عائد من الحج في منطقة تاجورة قرب طرابلس **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 53)**.

بعد وفاة "سكورة"، يعود الحكم مرة أخرى لعائلة كيتا، حيث تذكر المصادر العربية أنه بعد وفاة سكورة توالى على العرش كل من الملك "قو" وبعده ابنه "محمد بن قو"، إلى أن انتقل الملك إلى "أبي بكر الثاني" عام (703هـ/1303م) وهو ابن أخ سندياتا. الذي اشتهر بطموحه الكبير، الأمر الذي دفعه لتجهيز مائتي سفينة وأرسلها إلى المحيط الأطلسي من أجل الإستطلاع والبحث عما يوجد وراء هذا البحر، لكن لم تعد سوى سفينة واحدة، وأتبعها بألفي سفينة أخرى لكن هذه المرة لم تعد ولا سفينة.

وهكذا راح الملك ضحية طموحه مع السفن، حيث اختفى ولم يعد، وبالتالي شهدت الإمبراطورية عهدا جديدا، عندما تولى الحكم الملك المشهور "منسا موسى" ابن "أبي بكر الثاني" بين عامي (707هـ-729هـ/1307-1329م) **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 53)**.

اتسمت فترة حكم منسى موسى بأكثر الفترات ازدهارا في تاريخ السودان خلال العصور الوسطى، نتيجة الدور الذي قام به الملك، حيث كان رجلا صالحا وعظيما فكان يعتق كل يوم نفسا، يحكى أنه لما خرج إلى الحج في أحد المواسم، حمل معه مالا عظيما، وثمانون ألفا من الجند، وخمسمائة من النسوة، وثمانية آلاف وسبعمائة من العبيد، وقيل ستون ألف رجلا وخمسمائة من العبيد.

ولما كان منسى موسى يدرك جيدا الأهمية الحيوية للمناطق التي تمثل ملتقى الطرق التجارية، من الناحية الإقتصادية والسياسية، فإن أمير جيش منسى موسى قام بالسيطرة على مملكة السنغاي عام

(717هـ/1325م)، مستغلا بذلك ذهاب ملك السنغاي "ديا أسيبا" لأداء فريضة الحج، فاستولى على العاصمة غاو، وقدمها هدية لمنسا موسى عندما عاد من الأراضي المقدسة، فدخلها فاتحا أين استقبله أمراؤها وقدموا له فروض الطاعة والولاء.

واصل منسى موسى فتوحاته حتى أصبحت امبراطوريته تضم كل التجمعات البربرية الواقعة جنوب الصحراء، كما امتد ملكه جنوبا إلى غاية غابات غينيا وشرقا بلاد الهوسا، كما فتح تنبكتو وجعل له فيها خليفة وابتنى بها دارا للسلطنة، كما بنا صومعة الجامع الكبير بها، كما اعتنى الملك منسا موسى ببناء تنبكتو، حتى أصبحت البلد الأم للتجارة في بلاد السودان في العصور الوسطى، كما أصبحت منارة علمية بقدوم الفقهاء والعلماء والأدباء إليها **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، صفحة 45)**.

لقد أخرج منسا موسى مملكة مالي من عزلتها وأكسبها سمعة دولية، أين ربط علاقات دبلوماسية مع سلاطين القاهرة والمغرب الأقصى الذين كان لهم سفراء في البلاط المالي، ونفس الأمر كان لمالي سفراء في مراكش والقاهرة، فبفضل هذا الملك نالت مالي شهرة كبيرة في الأندلس ومراكش وخراسات.

ففي عام (731هـ/1339م)؛ وجد اسم مالي مكتوبا على خرائط العالم الجغرافي الإيطالي "أونجيلو دولسرت"، كما وجد اسم مالي في الأطلس الجغرافي الذي وضعه" أبراهام كريسك" لشارل الخامس ملك فرنسا. هذا وذكر الرحالة والتاجر الإيطالي "مالفنت" في مذكراته أن جمهورية ايطالية كانت تطمح للإتصال بمالي والتعاون معها في عهد منسا موسى. وهكذا استطاع هذا الملك أن يعيد مجد مالي ويحافظ على استمراريتها **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، صفحة 50)**.

بعد وفاة منسا موسى عام (733هـ/1332م)؛ تركت وفاته فراغا رهيبا وفوضى بمجرد تولي ابنه "منسا مغا" الحكم، وذلك بسبب افتقاده لصرامة أبيه وحزمه، فعرف متساهلا في إدارة شؤون المملكة، الأمر الذي مكن ولدي ملك غاو يفرّان ويعودان إلى موطنهما في غاو، كما وقع في عهده نهب مدينة تنبكتو، وبعد وفاة منسا مغا تولى العرش "منسا سليمان" بن أبي بكر الثاني أخو منسى موسى ما بين (724-762هـ/1341-1360م)، الذي اجتمع له ما كان أخوه قد افتتحه من السودان الغربي.

رغم صفة البخل التي تميز بها منسا سليمان، إلا أنه استطاع اصلاح شؤون البلاد المالية وأعاد الأمن للمملكة، كما استعاد السيطرة على الولايات الشرقية، وأصبح في عهده رؤساء الطوارق في تكدا، يعترفون بسلطانه ويدينون له بالولاء فاستفادت المملكة من نحاسها.

كما واصل سيرة أخيه في نشر الإسلام، وبناء المساجد والمنارت، وحرص على صلاة الجماعة وإقامة الآذان، حيث أعاد خلالها مجد المملكة الذي ميز فترة حكم أخيه منسا موسى، كما حافظ على العلاقات الدبلوماسية الخارجية.

توفي منسا سليمان عام (762هـ/1360م)، دخلت المملكة عهد جديد من الفوضى والصراع حول العرش أدى إلى سقوطها **(شعباني، دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م ، 2012-2013م، صفحة 54)**.

3 سقوط امبراطورية مالي:

إن بداية انحطاط امبراطورية مالي كانت مع وفاة الملك منسا سليمان، حيث خلفه ابنه "قنبتا بن سليمان" يلقب بـ "كاسا سليمان" الذي حكم فترة قصيرة ثم ولي بعده "ماري جاطة بن منسا مغا بن منسا موسى" لمدة اربعة عشر عاما، فكان هذا الأخير شر الناس حسب ابن خلدون، أساء السيرة وأفسد ملك مالي وأتلف ذخائر البلاد، بكثرة التبذير لدرجة أنه قام ببيع حجر من الذهب يزن عشرين قنطارا إلى تجار مصر بأبخس الأثمان، تلك الحجرة تعد أنفس ذخائر ملوك السودان، كما اشتهر بالكسل وعدم اكتراثه بشؤون البلاد إلى أن توفي عام (776هـ/1374م) بمرض النوم والنعاس الذي يصيب سكان تلك المنطقة لمدة سنتين **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 57)**.

بعد "ماري جاطة" خلفه ابنه "موسى الثاني" عام (776-789هـ/1374-1387م)، الذي حاول إعادة الإمبراطورية كما كانت من قبل، لكن تغلب عليه وزيره الذي كان يتصرف بشؤون الدولة كما يشاء، وتحكم في مقاليد الحكم وأحسن التدبير كما استولى على العرش، مع العلم أنه لم يزح "موسى الثاني" عن العرش إلى أن توفي عام (789هـ/1387م)، وبعد وفاة "موسى الثاني"، حدثت نزاعات واغتيالات حول العرش بين الأشقاء والأقارب أدت إلى تفكك المملكة، وهذا نتيجة ضعف شخصية الملوك الذين خلفوا "منسا سليمان"، فأصبح همهم التنافس والتنازع على العرش فأدخلوا البلاد في الفوضى والإضطرابات، كما شاع بينهم فساد الأخلاق وانغماسهم في الملذات بين أهل مالي من أصغرهم إلى أكبرهم من الملوك والقضاة والفقهاء **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 57)**.

كما أن استلاء القبائل المجاورة لهم؛ مثل قبائل الموسى وغاو والطوارق على أهم المدن الإقتصادية والثقافية مثل تنبكتو وتكدا وجني وغلام، قد أفقد المملكة إحدى عوامل اقتصادها القوي، حيث ظهرت قوة كوكو (غاو) التي أخذت تضم ولايات مالي الواحدة تلوى الأخرى إلى أراضيها، حتى استولت على جني وهي إحدى المراكز التجارية الهامة لمالي، ومنذ أواسط القرن (8هـ/14م) ، بدأ ملوك الطوارق يشنون هجمات على تنبكتو، فسقطت تحت سيطرة الطوارق عام (838هـ/1435م)، كما سقطت قبل ذلك العاصمة المالية نياني أمام هجمات ملوك السنغاي عام (802هـ/1400م).

توالت غزوات ملوك غاو على الأراضي المالية حتى بنوا امبراطوية السنغاي على أنقاض امبراطوريتهم رغم محاولة الماليين التصدي لهم ، حيث استمرت مملكة مالي إلى غاية القرن (10هـ/16م) لكن على مساحة ضيقة جدا، إذ تم احتلالها كلية من قبل ملك الأسقيين وهو "الأسقيا داود" عام (1055هـ/1645م) **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 58-59)**.

❖ نشاط إجمالي للمحاضرة:

السند:

تعدّ إمبراطورية مالي الإسلامية؛ نموذجا للدول التي ظهرت في السودان الغربي ما بين القرنين (4-9هـ/10-15م)، ذات بعد حضاري إسلامي متميز احتذى بهم ملوك الدول المجاورة مثل كانم بورنو والسنغاي. كما كانت شهرتها وثراءها قد تجاوز حدودها الإقليمية والقارية، ليظهر اسمها على خرائط علماء الجغرافيا في أوروبا، هذه الشهرة كانت سببا مباشرا في التكالب الأوروبي على المنطقة.

التعليمة:

بعد مشاهدتك للفيديوين الموجودين في الرابط أدناه ، واللذين يتحدثان عن إمبراطورية مالي الإسلامية، **إشرح** لنا كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية في التكوين السياسي والتطور الحضاري لامبراطورية مالي، مما جعلها أنموذجا لباقي الممالك التي قامت بعدها، وكيف كان لشهرتها وثراءها سببا مباشرا في التواجد الأوروبي بالمنطقة منتصف القرن الخامس عشر.

الرابط:

https://cte.univ-setif2.dz/moodle/mod/assign/view.php?id=21201

المحاضرة التاسعة:
مملكة السنغاي الإسلامية

الهدف الخاص:

- أن يوضح الطالب كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية في التكوين السياسي والتطور الحضاري لمملكة السنغاي الإسلامية في السودان الغربي.

الاهداف الاجرائية:

- أن يبين الطالب كيف قامت وتوسعت مملكة السنغاي بشكل موجز ودقيق.
- أن يوضح الطالب التطورات السياسية والحضارية لمملكة السنغاي باختصار دقيق.
- أن يفسر الطالب أسباب سقوط لمملكة السنغاي بمفرده ودون اسهاب.

==========

تمهيد:

لقد سبق وأن تطرقنا للحديث عن شعب السنغاي، في شق شعوب السودان الغربي، وخلصنا إلى أن لفظة السنغاي، تطلق على الشعب والمنطقة معا. هذه المنطقة مجاورة لنهر النيجر عند ثنيته أو ما يعرف بالنيجر الأوسط، فالسنغاي يعيشون على طول ثنية نهر النيجر من تنبكتو إلى غاو وحتى منطقة ساي في النيجر الأسفل. في هذه المحاضرة سنحاول فهم كيف قامت هذه المملكة على أنقاض إمبراطورية مالي، ودورها الحضاري في المنطقة؟.

1- تأسيس المملكة:

حسب دولافوس فإن تأسيس مملكة السنغاي يرجع إلى 1هـ/7م، وهذا عندما كانت جماعة من السكان لهم صيادون عبر الأنهار يعرفون ب سوركو (Sorko)، هؤلاء كانوا يفرضون سيطرتهم على نظرائهم من السنغاي الزارعين المعروفين باسم الفري وغوي القناصون غابيبي (Gabibi)، أين سيطر هؤلاء على المنطقة، وأقاموا عدة مستوطنات على طول ضفة نهر النيجر، حيث توغلوا حتى وصلوا منطقة كوكيا (**Delafosse، 1912، صفحة 240**).

في هذه الأثناء؛ وصلت جماعة من المهاجرين من بربر لمطة قدموا من طرابلس إلى كوكيا، أين استقبلهم السنغاي المزارعين ورحبوا بهم، ومنحوهم نسبا شريفا معتقدين أنهم سيكونون حلفاء ضد غزاة الصيادين السوركو، وكان زعيم اللمطيين يدعى "زا الأيمن" فقام زا الايمن وأصحابه بمحاربة السوركو بجريرة كوكيا وطردوهم منها، وهنا قام السنغاي المزارعون بتنصيب زا الايمن أو ديا الأيمن ملكا عليهم وأدوا له يمين الطاعة كمكافأة له على تخليصهم من السوركو **(اليعقوبي،، صفحة 191)**.

ما يمكن أن نشير إليه؛ أن السعدي لم يذكر شيئا عن تاريخ بداية حكم زا الأيمن، ولا اسمه الحقيقي حيق يقول: **" لا نعلم من ابتدأ منهم ولا تاريخا لخروجه من اليمن ولا لوصوله إليهم ولا اسمه وبقي لفظ زا-الايمن علما له وصارلقبا لكل من تولى بعده من الملوك" (السعدي، صفحة 5)**، وحسب شعباني؛ أن المملكة قد تأسست في القرن 3هـ/9م، لكون اليعقوبي عاش في القرن التاسع وتحدث عن هذه المملكة.

في المقابل توجه السوركو نحو نهر النيجر الأعلى، وأسسوا مستوطنات جديدة في غاو، فكان هؤلاء في صراع مع الزعماء اللمطيين من خلفاء زا-الايمن في كوكيا، ما أدى إلى احداث معارك بينهما انتهت بهزيمة السوركو، وبالتالي تركوا لهم غاو وغادروها، وهنا تحول مركز حكم زا-الايمن إلى غاو **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 62)**.

2- التاريخ السياسي لمملكة السنغاي:

2-1 فترة حكم عائلة زا-الايمن:

بعد انتقال حكم زا-الأيمن من كوكيا إلى غاو، التي تتمتع بخصائص استراتيجية، اقتصادية وعمرانية أكبر بكثير من عاصمة كوكيا، أين تحولت خلال فترة حكم زا-الايمن إلى مركز تجاري كبير منذ القرن 9م، فكانت تربطها علاقات تجارية مع أهم المراكز التجارية لشمال الصحراء الكبرى مثل توات، ورقلة، مصر، غدامس، ...الخ. كما أضحت قبلة للدعاة والفقهاء والعلماء.

بعد انتقالهم الى هذه المدينة الجديدة جاو؛ بدأت مرحلة هامة في تاريخهم مع أواخر القرن العاشر ميلادي، اين ازدهرت المملكة على خلاف مرحلتها السابقة في كوكيا، حيث كانت بها مدينتان واحدة في شرقي النيجر بها أسواق ومتاجر، يقصدها الناس من كل مكان، وواحدة في غربي النيجر بها قصر الملك ومسجد، وقد كان ملك السنغاي يقيم علاقات طيبة مع ملك غانة، فكان يقدم له الهدايا طمعا في الملح الذي يفد إلى أودغست، التي كانت تمثل مركزا تجاريا هاما، ونقطة عبور مهمة للقوافل في بلاد المسلمين

من الشمال. حيث يذكر البكري أهم السلع التي تفد إلى مدينة غاو وهي الملح، الودع، النحاس، إضافة إلى ما تمتلكه من الذهب من خلال مناجم التبر التي تحيط بالمدينة **(البكري، د.ت، صفحة 59)**.

لهذا السبب عرفت غاو تطورا وازدهارا كبيرين، مما جعلها تؤدي دورا اقتصاديا وسياسيا لا يمكن تجاوزهما في منطقة النيجر والسنغال العلويين بين القرنين 9 و11م. هذا الدور الريادي كان وراءه أيضا تداول على حكم ملوك أشداء ساهموا في تدعيم ذلك الدور الذي أنيط بمملكتهم، هؤلاء الملوك ينتمون إلى أسرة واحدة وهي عائلة زا-الايمن، فذكر السعدي أنهم 30 ملكا حكموا المملكة من ذات العائلة **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 64)**.

2-2 فترة حكم سني علي (1464-1492م):

خلال سنة 1325م، كانت إمبراطورية مالي في أوج قوتها، حيث قام قائد جيش منسى موسى بالاستيلاء على السنغاي وأهداها إلى منسى موسى خلال عودته من رحلة الحج، وقد أخذ ابني الملك كرهينة عند الملك، لكن في فترة ضعف مملكة مالي، تمكن هذان الولدان من الفرار وتمكنا من الوصول إلى السنغاي، وهنا نصب سني علي نفسه ملكا على السنغاي وقطع صلته بمملكة مالي.

بعد سيطرة سني علي غير مصير المملكة، أين وضع جيشا نظاميا وأعد أسطولا صغيرا على نهر النيجر وبدأ بغزواته في كل اتجاه، اين استخدم كل أساليب العنف والتقتيل والترهيب، فغزا مسينا وفتك بالفلاتة، تنبكتو وهاجم الطوارق وطردهم نحو الشمال، وغزا الموسى والدوجون في الجنوب.

هذا الملك عرف عنه بأنه طاغية وفاسق، لما ارتكبه في حق العلماء والصالحين، خاصة عندما دخل تنبكتو عام 1468م نهبها وحرقها وقتل فيها خلقا كثيرا، أين اعتبره السعدي أشد انتهاكا بما قام به شعب الموسى الوثني عندما غزا تنبكتو عام 1369م. هذا لان دينه كان سطحيا تسيطر عليه التقاليد والممارسات الوثنية.

بعد وفاته عام 1492م؛ خلفه ابنه سني أبو بكر (1492-1493م) ، هذا الأخير الذي رفض اعتناق الاسلام فثار عليه قائد الجيش محمد توري فقتله، وأصبح محمد توري الملك الجديد للملكة، ولقب نفسه بأسكيا محمد الأول، وهنا يبدأ عهد الأسقيين **(السعدي، الصفحات 4-6)**.

1-2 مملكة السنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591م):

كان محمد أسكيا؛ من أصل سوننكي من عشيرة توري المنحدرة من سلالة المرابطين، بالرغم من أنه كان أميا إلا أنه كان مسلما ورعا، متزنا ومعتدلا وسياسيا بعيد النظر، حكم ما بين 1493-1528م،

قدم الكثير لمملكته في شتى مجالات الحياة، ففي المجال العسكري كون جيشا نظاميا محترفا، أما في المجال السياسي والإداري عمل على تقسيم المملكة إلى ولايات، على رأس كل ولاية حاكم يمثل سلطة السلطان، كما تم تعيين عدة مسؤوليين على جهات مختلفة للملكة منها ادارة القوارب النهرية ، الضرائب، الديانات الوثنية، الغابات **(الفيتوري، 1998م، صفحة 306)**.

كما تم توسيع المملكة نحو مسينا، بلاد الموسي، اغادس والآير، وضم بلاد التكرور وجني وتم الاستيلاء على مناجم الذهب. هذا وقام بتشجيع تم تشجيع التجارة ونشر عدد كبير من شرطة المراقبة واهتم بالزراعة، وتم تشجيع التعليم والإغداق على العلماء بالعطايا والمعاش.

وبعد أن أصيب بالعمى استولى ابنه موسى أسكيا على الحكم ما بين (1528-1531م)، هذا الأخير حاول قتل اخوته الثلاثون، فدخل معهم في حرب ضروس، أين تمكن من قتل ثلاثين رجلا من أبناء اخوته، هذا الرجل الذي لم يسلم منه حتى عامة الناس، ففتك بكثير من الخلق وعاش الناس في عهده في رعب، فكان عقابه ان اتحد اخوته الذين نجوا منه فقتلوه عام 1531م.

بعد وفاة موسى أسكيا خلفه الأسكيا كوري (1531-1536م)، الذي عرف بدوره قاطع الارحام، وأول ما قام به هو إخراج أكبر أعمامه محمد توري مؤسس مملكة السنغاي من مدينة غاو ونفاه إلى جزيرة كنغابا. وفي عام 1536م ثار عليه ابن عمه الاسكيا اسماعيل فهرب باتجاه تنبكتو، ثم لجأ إلى مدينة تابا التي توفي بها.

تولى الأسكيا اسماعيل حكم العرش ما بين (1537-1539م) ، فقام باستعادة والده واخوته، كما شن هجومات ضد قبائل الوثنية في نهر النيجر ، ليكمل مساره اسكيا اسحاق بعد وفاة أخيه عام 1539م، فكان رجلا تقيا نقيا، أين قام بقتل العديد من الجند الذين كانوا متحكمين في الأساكي السابقين، كما حارب الظلم والفساد، إلا أن مرض الطاعون فتك به عام 1549م، ليخلفه الأسكيا داوود مابين (1549-1582م)، هذا الملك قدّم أعمالا جليلة لمملكته منها غزوه لقبائل الموسى الوثنيين، وهاجم شعب ماسينا، فبلغت المملكة في عهده ذروتها من التقدم، وحققت نهضة اقتصادية وفكرية عظيمة، كما ازدهرت الزراعة وانتعشت المدن التجارية الكبرى، كما اجزل العطايا للعلماء والادباء، ورمم المساجد، وانفق على الفقراء **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 63-65)**.

3- المظاهر الحضارية في مملكة السنغاي:

تجلت مظاهر الحضارة الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الأول وبعضا من خلفائه، ترتب عنها تكوين حكومة ونظم إدارية متقدمة، حيث تشكلت الدولة اللامركزية، أين تم تقسيم المملكة إلى إقليمين كبيرين هما إقليم كورمينا في الغرب وإقليم دندي في الجنوب الشرقي، تسند لكل إقليم وظيفة لولي العهد يلقب بـ فاري **(سيسوكو، صفحة 210)**.

يقوم النظام الملكي فيها على أساس القيم الإسلامية والتقليدية، أين حدث امتزاج كامل بين النظم العربية الإسلامية والأنماط السودانية المحلية، فتكون عنصرا جديدا مشتركا يحمل قيم العروبة والإسلام مضافا إليه الموروث المحلي، فنتج عنه بروز الملامح الإفريقية في إطارها الإسلامي الراق.

وفقا للمصادر السودانية والمغربية، فإن الإسلام عرف ازدهارا خلال فترة حكم الأسقيين، وهو ما تجلي في منجزات ملوكها مثل الأسكيا محمد الأول، اسماعيل داوود، هؤلاء الذين كانوا يتقربون إلى العلماء، واعتمادهم عليهم في تسيير الشؤون الدينية والإجتماعية والقضاء والتدريس، فحكموا البلاد وفق توجهاتهم الدينية والسياسية **(السعدي، صفحة 64)**.

ومن المظاهر الحضارية أيضا؛ أن المملكة كانت تمتلك جيشا نظاميا يتكون من الخيالة والفرسان، وفرقة المشاة التي تمثل قسما كبيرا من الجيش، الفدائيون والكتائب، إضافة إلى الحرس الملكي الذي يقوم على حراسة الملك وحاشيته. أما الأسلحة فتتمثل في الدروع الحديدية، الرماح، التروس، الحراب، السهام والفؤوس الحادة **(الفيتوري، 1998م، صفحة 318)**.

كما شهدت المملكة في القرن السادس عشر، حركة فكرية إسلامية كبيرة، قادها ابناءها الذين تلقوا علومهم في جامع القيروان، الجامع الأزهر ، فانكب هؤلاء بعد عودتهم إلى بلادهم في خدمة الدين والعلم، أين عرفت مدينة تنبكتو ، غاو وجني بمراكز الإشعاع العلمي، ذاع صيتها في بلاد السودان وبلاد المغارب، هؤلاء تركوا لنا آثار علمية واضحة في الحياة الفكرية والثقافية والسياسية بالمملكة، ويعتبر الفقيه محمد بن عبد الكريم واحدا ممن عاصر عهد الأسكيا الحاج محمد، استطاع بفكره أن يؤثر في بلاد السودان **(زبادية، أسئلة الأسكيا داوود، صفحة 9)**.

دون أن ننسى العصب الرئيسي لرقي المملكة والمتمثل في الجانب الإقتصادي؛ إذ عرفت المملكة بفضل موقعها الإستراتيجي سيطرة كبيرة على الطرق التجارية التي تصلها ببلاد المغارب والمشرق، كما أن

لوفرة المملكة على المقومات الفلاحية والصناعية والمنجمية مكنها من توفير احتياجات مدن الشمال، مما قوى من الحركة التجارية بين أسواقها وأسواق مدن الشمال المغاربي **(الفيتوري، 1998م، صفحة 320)**.

4- سقوط مملكة السنغاي:

في عهد الأسكيا داوود اندلعت أزمة مناجم الملح في تغازى مع مملكة السعدية بالمغرب، بالرغم من توصل الطرفان إلى حل حول أحقية المغرب بالمنجم، إلا أن القضية انفجرت مرة أخرى في عهد محمد الرابع (1583-1586م)، بعد وفاته اندلعت حرب أهلية بين الإخوة الذين ثاروا ضد الأسكيا الحاج محمد الخامس، وهنا تسرب اليأس إلى قلوب الناس، وتحرك الجيش المغربي بقيادة جودر باشا إلى غاو لاحتلالها، أين مال بعض الجنود إلى صفوف الجيش المغربي الغازي سنة 1591م وبالتالي سقطت مملكة السنغاي في أيد السعديين **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 76)**.

المحور الرابع

ممالك السودان الأوسط

المحاضرة العاشرة: مملكة كانم بورنو

1- مملكة كانم

2- مملكة بورنو

3- مملكة كانم-بورنو

4- التطور السياسي والحضاري لمملكة كانم بورنو

5- ضعف وانهيار مملكة كانم-بورنو

المحاضرة الحادية عشر: ممالك الهوسا

1- نشأة ممالك الهوسا

2- المظاهر الحضارية في ممالك الهوسا

المحاضرة العاشرة:
مملكة كانم بورنو الإسلامية

الهدف الخاص:

- أن يوضح الطالب كيف ساهمت المؤثرات الإسلامية في التكوين السياسي والتطور الحضاري لمملكة كانم بورنو الإسلامية في السودان الأوسط.

الاهداف الاجرائية:

- أن يبين الطالب كيف قامت وتوسعت مملكة كانم بورنو بشكل موجز ودقيق.
- أن يوضح الطالب التطورات السياسية والحضارية لمملكة كانم بورنو باختصار دقيق.
- أن يفسر الطالب أسباب سقوط لمملكة كانم بورنو بمفرده ودون اسهاب.

==========

تمهيد:

تعدّ مملكة «كانم - برنو» أولى بنية سياسية ذات مرجعية إسلامية في السودان الأوسط، تأسّست في منطقة بحيرة تشاد، وامتدّت في أوج عظمتها من حوض النيجر غرباً إلى دارفور شرقاً، ووصلت في الشمال إلى فزّان بجنوب ليبيا، وبالإضافة إلى أنّها تغطّي معظم أراضي التشاد المعاصرة؛ وبالتالي فإنّها تضمّ أجزاء من الكاميرون وليبيا ونيجيريا وإفريقيا الوسطى.

يمكن التمييز في تاريخ مملكة "كانم – برنو" بين عهدين؛ العهد الكانمي: من التأسيس في ق1هـ/ ق8م؛ إلى الربع الأخير من ق8هـ/ ق14م، والعهد البرنوي: من نهاية العهد الأوّل؛ إلى سقوط المملكة على يد القوى الاستعمارية في ق13هـ/ ق19م (1893م).

1- مملكة كانم:

يذكر ديلافوس أنه بشرق بحيرة التشاد عاشت شعوب متفرقة على أرض صحراوية، تربطهم لغة وأصل واحد يطلقون عليهم شعب الكانم **(Delafosse M.، 1941، صفحة 100)**، هؤلاء أسسوا مملكة كانم التي تعود إلى حوالي (184هـ/800م) وهذا حسب الروايات الشفوية، هذه المملكة سيطر عليها الزغاوة وأصبحوا ملوكا للأرض.

ذكر اليعقوبي أنه في زمانه كانت مملكة كانم تحت حكم الزغاوة عام (258هـ/872م)، حيث قال: **" أما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب، فإنهم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك، فأول مملكهم الزغاوة، وهم النازلون بالوضع الذي يقال له الكانم" (اليعقوبي، 1860، صفحة 149)**، كما ذكر ابن قتيبة خلال القرن (2هـ/8م) والمهلبي في نهاية القرن (4هـ/10م) تفاصيل عن مملكة الزغاوة أو ما تعرف أيضا بمملكة كانم وهو المكان الذي يعيش فيه الزغاوة.

امتدت مملكة الزغاوة في كانم لتضم إليها مناطق بلما، كوار لتصل حتى زويلا في فزان من الشمال، أما في الشرق فكانت حدودها تحاذي بلاد النوبة، حيث يقول المسعودي بأنها تصل إلى غاية النيل المصري، حيث ممالك النوبة التي كانت في حروب معها، كما وصفها المهلبي في القرن (4هـ/10م)، بأنها مملكة واسعة تمتد من بحيرة التشاد إلى حدود النوبة، حيث تضم مملكتهم شعوب كثيرة، هؤلاء يعبدون ملوكهم ويعتقدون بأنهم هم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون، وهذا ما يؤكد بأن الكانميين لم يعتنقوا الإسلام إلا بعد القرن (4هـ/10م) **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 79)**.

1-1 مملكة كانم في عهد الزغاوة:

لقد نشأت المملكة عام 184هـ/800م، نتيجة سيطرة جماعة من الزغاوة على المجموعات الأخرى بفضل حيازتها على الأسلحة الحديدية، حيث فرضت سيطرتها على الشعوب الرعوية والزراعية التي تعيش في المنطقة الواقعة جنوب شرق كوار، بين بحيرة التشاد وبحر الغزال في أرض النوبة.

وقد أقام هؤلاء علاقات دبلوماسية مع الدول الإسلامية في شمال افريقيا، وعن طريق هذه العلاقات وصل الإسلام إلى ملوك الكانم، حيث كان أول ملك مسلم هو "لادسو" أو "أوسو"، و في مواضع أخرى "حوا" الذي حكم بين (459-463هـ/1067-1071م) بينما بقي الشعب وثنيا، ثم جاء بعده الملك "عبد الجليل سيما" الذي حكم أربع سنوات بعده، وخلفه الملك "ألوما" الذي حكم عشرون سنة، وبعده "أركو" الذي حكم لمدة أربعة وأربعين سنة كاملة، وبوفاته ينتهي حكم الزغاوة وبداية عهد السيفيين **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 79-80)**.

2-1 مملكة كانم في عهد السيفيين:

تنسب هذه الأسرة إلى البطل اليمني سيف بن ذي يزن، لذلك سميت بالأسرة السيفية، مؤسس هذه الأسرة هو "هوماي" وهو اسم مشتق من حمد أو أحمد ما بين (1075-1080م)، وهو أول من أسلم

من الملوك السينوفيين عام 1085م، وقد اخضع "هوماي" عدة شعوب وثنية من مدينة كوري ومدينة بدي وجاجة.

كما بسطت مملكة كانم سيطرتها على مدن اسلامية، قد سلمت على ايدي فقهاء وملوك الكانم مثل ممالك (تجوة، كوار، فزان، رديني)، هذا وسيطروا على الشعوب البربرية الصحراوية التي تقع شرقي جبل "مقورس" الفاصل بين الكانم وامارة كوكو، حيث يذكر ابن سعيد المغربي أن فزان ونخيلها وودان كلها كانت في عهد السيفيين تابعة لملك كانم.

وهكذا حققت مملكة كانم بفضل الملك هوماي انجازات كبيرة منها اتخاذ "نجيمي" عاصمة جديدة بدل "مانان"، وجلب العلماء والفقهاء الذين كانوا يترجمون القرآن ويعلمون الفقه، ونشر الأفكار السياسية التي كانت منتشرة في المغرب الإسلامي. وبعد وفاة هوماي خلفه عدد من الملوك استطاعوا ان يوطدوا أركان المملكة وأن يحافظوا على استقرارها وازدهارها **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 80-82)**.

2- مملكة بورنو:

كلمة بورنو تعود إلى كلمة (بر Bar) والتي تعني "انسان" في لغات قبائل الجرامنت (Garmantes) القديمة، التي سكنت في الواحات الجنوبية للصحراء الكبرى، ومنها جاءت تسمية "بركو" أو "بوركو" (كوو أو كاوو وتعني حجر أو جبل)، أي انسان الحجر نسبة إلى جبال المنطقة، ومنها جاءت كلمة "بري بري" لسكان كانم من طرف سكان الهوسا، وبالتالي كلمة بورنو تطلق على الشعب لا على الأرض.

بداية تداول اسم هذه المملكة عند نهاية عهد الملك دوناما، عندما بدأت شعوب محلية مثل الساو والتوبو والبولالا المتمركزة في بحيرة فيتري، تثور ضد حكم الكانم مع بدايات القرن الثاني عشر ميلادي، وبعد مائة سنة من الإضطرابات أي حوالي عام 1314م، قرر ملك كانم "الماي عمر" ترك كانم في الشمال الشرقي من التشاد الحالية من أجل الإستقرار في بورنو الواقعة في الجنوب الغربي من بحيرة التشاد أي في نيجيريا الحالية **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 85)**.

رغم أنه يصعب علينا في ظل ندرة المصادر أن نتعرف على طبيعة العلاقات بين كانم وبورونو قبل القرن الرابع عشر ميلادي، وهو تاريخ انتقال الكانميين إلى بورنو، لكن ابن سعيد خلال القرن الثالث عشر يذكر أن مملكة مستقلة تقع غرب التشاد سماها جاجا **(المغربي، صفحة 94)**، وهو ما يجعلنا

نعتقد بأن مملكة بورنو كانت مملكة مستقلة، خاصة لما يذكر العمري بأن سلطان مصر كان يتبادل الرسائل مع كل من ملك كانم وملك بورنو.

3- مملكة كانم بورنو:

في حدود القرن (6هـ/12م)؛ بدأ سكان كانم بالهجرة نحو الغرب للإستقرار في بورنو غرب بحيرة التشاد، وفي غضون القرن (10هـ/16م) قامت هجرة أخرى للتوبو الهاربين من هجمات إدريس ألوما ضدهم، كما هاجر عدد كبير من عرب الكانم إلى منطقة التشاد، للبحث عن أرض أكثر خصوبة خاصة وأن تلك الفترة عرفت مجاعة كبيرة دفعت بزيادة الهجرة الجماعية.

نتيجة ضغط قبائل البولالا والساو، اضطر ملوك الكانم من السيفيين إلى ترك الكانم والانتقال نهائيا إلى بورنو والاستقرار بها، وذلك في عهد الملك "الماي عمر"، لكن تم استعادة ارض الكانم فيما بعد، حيث حدثت حروب بين السيفيين والبولالا انتهت بإخضاع ملك البولالا "دوناما بن سلما"، وبهذا أصبح السيفيون يحكمون كانم وبورنو مع بعض، حيث تمكن "دوناما علي" (1472-1504) من الجلوس على عرش كانم وعرش بورنو معا، وأقام عاصمته الجديدة في نكازاركامو (Ngazargamo) وتولى الحكم من بعده ملوكا حكموا باسم مملكة كانم بورنو **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 86-87)**.

1-3 التطور السياسي والحضاري في مملكة كانم بورنو:

لقد قام إدريس ألوما بتوحيد البورنو واسترجع الكانم وطرد العدوان، حيث كتب المؤرخ "أحمد بن فرتو كتابا بعنوان **" تاريخ إدريس ألوما وغزو اته"** وصف فيه حملاته العسكرية الإثني عشر الاولى، كما وصفه هو شخصيا فقال: **" وكان السلطان ادريس ألوما شديد التمسك بالكتاب والسنة، شديد الكراهية لأهل البدع والمحادثات، ولقد حكم بالكتاب والسنة في عهد ملكه" (بن فرتو، د.ت، صفحة 107.)**.

شهدت فترة حكمه شن هجمات على الشعوب الوثنية في الجنوب وجلب العبيد، لأن تجارة الرقيق كانت رائجة، كما حارب شعوب البولالا والساو وحقق انتصارات عظيمة، كان لهذا الملك جيش قوي وكثير العدد، مجهز ومسلح جيدا فأوكل قيادته إلى كبار الضباط، لكن جيشه غير نظامي بل كان العمل عسكري يومي على أساس النهب والسلب ويرتكز على عنصر المفاجأة، بالرغم من أن هذا الملك قد انتهج تنظيمات وتخطيطات بارعة إلا أنها لم تعمر إلا بوجوده فقط.

عند أداءه للحج ومروره على مصر، اكتشف أهمية السلاح الناري فجلب منه عدة بنادق وأسلحة نارية من الدولة العثمانية، التي كانوا يقايضونها بريش النعام وجلود النمور والتماسيح والعبيد، كما جلب المدربين الأتراك وأنشا فيلقا خاصا بالفرسان المسلحين بالبنادق وفيلق خاص بعبيد القصر.

يُعدّ السلطان إدريس ألوما (1570-1602م) أكبر ملك لكانم - برنو، وقد وصلت المملكة في عهده لأوج عظمتها، وقد أدّت الإصلاحات القانونية والاقتصادية والتربوية، التي قام بها السلطان إدريس ألوما، إلى تحقيق نهضةٍ شاملة للمملكة اقتصادياً واجتماعيّاً وثقافيّاً وعمرانيّاً **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، صفحة 88)**.

4- التطور السياسي والحضاري في مملكة كانم بورنو:

لقد عمل إدريس ألوما على نشر الإسلام في منطقته، فقام ببناء مساجد بالآجر، بدل الطوب والحجارة مغطاة بالحصير ، كما شن حروبا ضد الظواهر الإجتماعية الفاسدة من الزنا والفواحش، واعتنى بالأرامل واليتامى وانفق عليهم، كما أمر بتعيين قضاة من الفقهاء المسلمين يحكمون على أساس الشريعة الإسلامية، ونتيجة جهود المتواصلة في سبيل نشر الإسلام، دخل الإسلام جميع اعيان ونبلاء الدولة، وأصبح الشعب بأكمله يلجأ إلى الشريعة الإسلامية في شؤونه اليومية.

وبهذا تكون مجهودات ألوما توجت مسيرة خمسة قرون من المجهودات، لنشر الإسلام في بلاد السودان، لاسيما أن الإسلام قد عم بين الطبقة الشعبية، بدل طبقة الحكام والنبلاء فقط. أما عن استبدال القوانين والعادات الوثنية القديمة بالشريعة الإسلامية، يمكن القول بأن ذلك اقتصر على الشعب الكانوري فقط والأراضي الخاضعة مباشرة للسلطة المركزية في كانم بورنو **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 88-90)**.

5- ضعف المملكة وسقوطها:

بعدما توفي إدريس ألوما عام 1603م، تاركا مملكة واسعة المساحة والأمن، خلفه عدد من المايات الذين حافظوا على انجازاته وحافظوا على ازدهار المملكة لبضع سنوات خاصة خلفائه من أبناءه الثلاث، لكن بدأ الضعف يدب في أوصال المملكة بعد ظهور أمراء ضعاف، وبداية الإعتداءات الخارجية وانتشار المجاعات.

عرفت المملكة هجمات من طرف الطوارق وهجمات أهل كوار، رغم ارسال حملات تأديبة لهؤلاء لكن دون جدوى، حيث تعرضت المملكة للحصار عدة مرات في العاصمة، ومجاعة كبيرة في عهد الماي علي ابن الحاج، بعدها دخلت البلاد في اضطراب وفوضى دامت سبعة أعوام.

أمام هذا الوضع ظهر الشيخ محمد الأمين الكانمي؛ وهو من مواليد منطقة فزان في ليبيا، عمل على نشر الإسلام وثقافته في السودان الأوسط، فحارب البدع والخرافات الوثنية العالقة بالإسلام، حيث استقر في كانم وتزوج من ابنة أمير من أمراء كانم بورنو .

ولما تعرضت البلاد لغزو الفلاتة بزعامة محمد عثمان دان فوديو، نظم جيشا صغيرا من الكانميين فتصدى لتوغل قوات دان فوديو نحو بحيرة التشاد التي سقطت العاصمة في ايدي الفلاتة، ففر الحاكم أحمد بن علي إلى الشمال، وتولى الحكم من بعده ابنه دوناما بن أحمد، الذي ساعده محمد الكانمي في تنظيم الجيش، والعودة إلى العاصمة لتحريرها من يد الفلاتة، لكن الفلاتة تمكنوا مرة أخرى من الهجوم على العاصمة البرناوية وهرب الماي دوناما منها، وهنا استغل محمد الأمين كانمي الوضع وأصبح الحاكم الفعلي على مملكة بورنو عام 1809م، واتخذ من عاصمة كاكا عاصمة له، ليبدأ عهد جديد من تاريخ المملكة وهو عهد حكم شيوخ الدينيين، حيث أصبح الملوك يلقبون بالشيوخ إلى غاية ان سقطت مملكة كانم بورنو الإسلامية على يد الإستعمار الأوروبي **(شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، 2015، الصفحات 90-91)**، حيث تفتت الإمبراطورية وتقاسمتها الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا وألمانيا) في عام 1894م.

❖ نشاط إجمالي للمحاضرة:

السند:

يُعدّ السلطان إدريس ألوما (1570-1602م)؛ من أعظم الملوك الذين حكموا مملكة كانم - برنو، حيث وصلت المملكة في عهده أوج عظمتها، وهذا بفضل الإصلاحات القانونية والاقتصادية والثقافية القائمة على الشريعة الإسلامية، أين تحققت نهضة شاملة للمملكة اقتصاديّاً واجتماعيّاً وثقافيّاً وعمرانيّاً ، وبهذا تكون مجهودات ألوما قد توجت مسيرة خمسة قرون من الجهود لنشر الإسلام وترسيخه في السودان الأوسط.

التعليمة:

أكتب نصا تاريخيا لا يتجاوز 700 كلمة، تعلل فيه كيف استطاع إدريس ألوما القضاء على الوثنية في بلاده، و تأسيس مملكة على أسس إسلامية صرفة، ساهمت في بناء الصرح الحضاري الإسلامي العالمي، إلى غاية التكالب الاستعماري على المملكة مع نهايات القرن التاسع عشر.

المحاضرة الحادية عشر: ممالك الهوسا

الهدف الخاص:

- أن يوضح الطالب كيف شكّل الإتحاد بين ممالك الهوسا في التطور السياسي والحضاري لهذه الممالك في السودان الأوسط.

الاهداف الاجرائية:

- أن يبين الطالب كيف قامت وتوسعت ممالك الهوسا بشكل موجز ودقيق.
- أن يوضح الطالب التطورات السياسية والحضارية لممالك الهوسا باختصار دقيق.

==========

1- الموقع الجغرافي:

أطلق اسم الهوسا على بلاد الهوسا نسبة إلى لغتهم المسماة بالهاوسة، هذه البلاد تحتل مجالا واسعا بالسودان الأوسط، تمتد من جبال الآير شمالا إلى جنوب هضبة جوس بنيجيريا، ومن مملكة بورنو شرقا إلى نهر النيجر غربا **(شعباني، 2015، صفحة 103)**، هذه الرقعة الجغرافية نشأ على أديمها أربعة عشرة مملكة، فسميت بممالك الهوسا، مع العلم أنهم لا ينحدرون من أصل واحد، بل كانوا نتيجة امتزاج جماعات قبلية وعرقية أهمها السودانيون، الطوارق، البربر، الفلانيون وبعض العرب المهاجرين، نتج عن هذا الامتزاج هذا الشعب الذي أصبح يتكلم لغة واحدة وهي لغة الهوسا (الإفريقية، صفحة 203).

2- نشأة ممالك الهوسا:

تقول الأساطير أن ممالك الهوسا الأربعة عشرة، قامت عن طريق غزوة من بورنو قادها شخص يسمى بايزيد، وهو من رقيق سلاطين بورنو، هذا الأخير عندما وصل إلى بلاد الهوسا، قام بقتل الثعبان الذي كان يقوم على حراسة الماء وحرر البلاد، فتم تنصيبه ملكا مكافئة له، ليخلفه أبناءه السبع بتكوين سبع ممالك، هذه الممالك كانت النواة الأولى لبلاد الهوسا، إلى جوار هذه الممالك كانت توجد سبع ممالك أخرى، سكانها ليسوا من الهوسا يعرفون بأشقاء الهوسا **(بانيكار، 1998، صفحة 200)**.

هذه الممالك هي؛ كانو، غوبر، كاتسنا، زاريا، رانو، دورا، بيرام. هذه الممالك كانت بعضها لها ميزات تختلف عن الأخرى، أقواها كانت غوبر ، إلى جانب كانو وكاتسنا اللتين كانتا تتمتعان بأهمية صناعية وتجارية بامتياز **(كريديه و باري، صفحة 147)**.

3- المظاهر الحضارية لممالك الهوسا:

تذكر المصادر أن دخول الإسلام إلى بلاد الهوسا، كان عن طريق الديولا خلال القرن الرابع عشر، وفي رواية أخرى أن الإسلام وصل المنطقة خلال القرن الحادي عشر، والدليل في ذلك أن الهوسا كانوا على اتصال دائم مع كانم بورنو قبل القرن الرابع عشر، لذلك فإن التأثير الكانمي كان واضحا في عديد من الكلمات ذات مدلول الدين الإسلامي نقلت إلى اللغة الهوسية **(شعباني، 2015، صفحة 110)**.

ارتبط انتشار الإسلام في ممالك الهوسا، بالنخبة الحاكمة وبمجموعة من التجار، لذلك تأثيره اقتصر على المدن الكبرى، مع بقاء تأثير الوثنية فيهم، أين ظلوا يعتقدون بالتقاليد الوثنية التي كانت جزءا من حياتهم اليومية، وبقي الحال حتى مع أحفادهم بينما بقيت فئة محدودة من العلماء وطلبتهم يجتهدون في اتباع الشريعة والسنن بطريقة صارمة **(شعباني، 2015، صفحة 111)**.

المحور الخامس

ممالك السودان الشرقي

المحاضرة الثانية عشر: مملكة مملك النوبة والفونج

- ممالك النوبة المسيحية.
- مملكلة الفونج الإسلامية

المحاضرة الثالثة عشر: مملكة أكسوم في الحبشة

- الموقع الجغرافي.
- تأسيس مملكة أكسوم
- التطور السياسي والحضاري لمملكة أكسوم

المحاضرة الثانية عشر: ممالك النوبة والفونج

الهدف الخاص:

- أن يفسر الطالب كيف تم الانتقال السلس للسلطة من ممالك مسيحية للنوبة إلى زعماء مسلمين ساهموا في التطور الحضاري لمملكة الفونج الإسلامية الناشئة بدايات القرن السادس عشر بالسودان الشرقي .

الاهداف الاجرائية:

- أن يعدد الطالب أسباب سقوط مملكتي مقرة وعلوة بشكل موجز.
- أن يوضح الطالب كيف قامت وتوسعت مملكة الفونج الإسلامية على أنقاض مملكة علوة بدقة وايجاز.
- أن يستنتج الطالب أسباب التطور الحضاري لمملكة الفونج الإسلامية بمفرده وبشكل موجز ودقيق.
- أن يستخرج الطالب أسباب سقوط مملكة الفونج الإسلامية بمفرده.

==========

تمهيد:

يطلق لفظ "النوبة"؛ على أجزاء وادي النيل الممتدة على جانبي نهر النيل الأعظم من أسوان إلى جنوبي إلتقاء النيلين الأبيض والأزرق، بالإضافة إلى مناطق من حوض النيل الأزرق والأتبرا حتى أطراف الحبشة شرقا وأقاليم كردفان ودارفور غربا، حيث نشأت ثلاث ممالك مسيحية على أديم النوبة المسيحية التي امتد نفوذها من الشلال الأول حتى إقليم سنّار على ضفاف نهر النيل الازرق؛ أول هذه الممالك من الشمال هي المريس (Elmaris) أو نوباتا (Noubata) وعاصمتها المرس وقيل "نوباديا" والعاصمة "فرص"، وفي الوسط مملكة المقرة (Elmakara) وعاصمتها دنقلا (Dengala)، أما في الجنوب نجد مملكة علوة (Oloua) وعاصمتها سوبا (Souba).

هذا المجال الجغرافي شهد تحولات عميقة فترة انتشار الإسلام في إفريقيا، أين انتقلت هذه الممالك من المسيحية إلى الإسلام، وهذا بفضل جهود العرب ومن أسلموا من السكان المحليين، لذلك سنعالج في

هذه المحاضرة، كيف كانت انتقلت ممالك النوبة من المسيحية إلى الإسلام، وكيف قامت مملكة الفونج الإسلامية على أنقاض مملكة علوة المسيحية، ودورها البارز في نشر الحضارة العربية الإسلامية بالمنطقة.

1. ممالك النوبة المسيحية:

1-1 مملكة نوباتا:

تقع مملكة نوباتا بين الشلال الأول والثاني داخل الحدود المصرية الحالية، وهي مملكة مسيحية، كانت عاصمتها باخوراس (فرس)، وأعطاها المؤرخون العرب اسم آخر وهو المريس، وأسس هذه الملكة أسسها الملك سلكو قرابة 530م، حيث تشير المصادر أن أصل تسمية "نوباتيا"، يرجع لشعب النوباطي، وهو أحد شعوب وادي النيل القديمة، و قد كان منشأها بالجهات الغربية لنهر النيل. اتفق المؤرخون أن النوباتيين أتوا من الصحراء الغربية سواء من منطقة الواحة الخارجة المقابلة لصعيد مصر شمال غربي مدينة أسوان، أو من المناطق الصحراوية الواقعة جنوبها واستقروا على ضفاف النيل جنوبي أسوان.

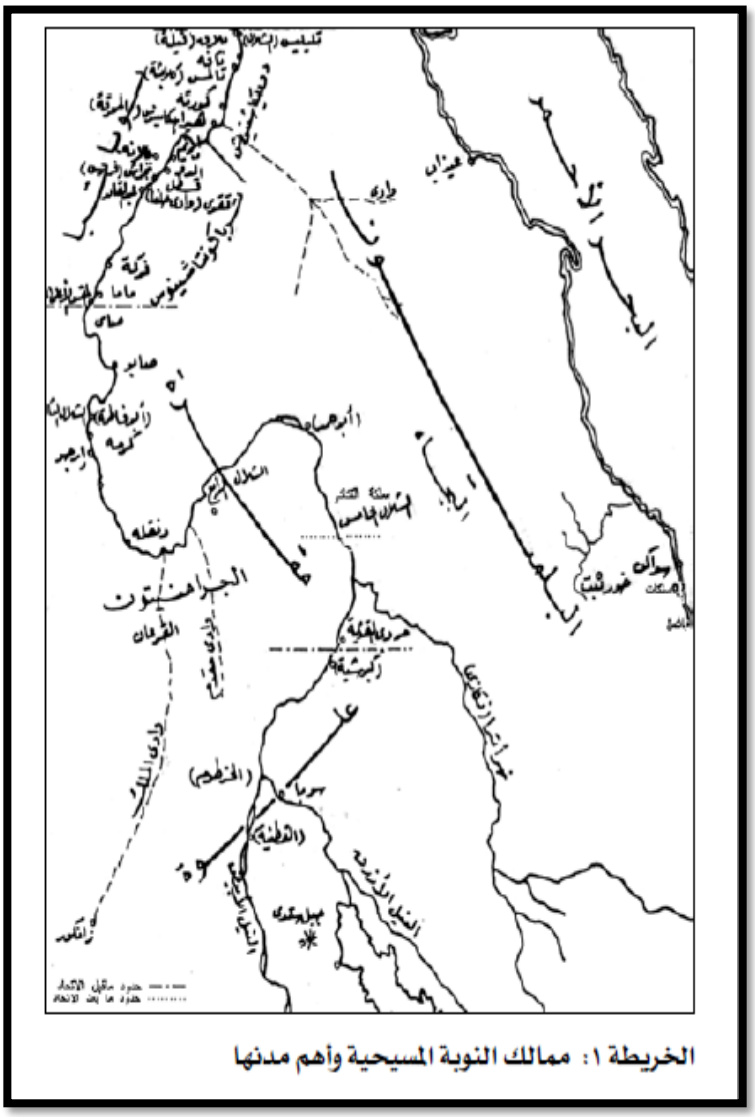

الخريطة ١: ممالك النوبة المسيحية وأهم مدنها

بدأت النصرانية بالانتشار في مملكة نوباتيا في حوالي القرن السادس الميلادي، مستمدة تأثيرها من الوجود النصراني الآتي من مصر في الشمال، و قد كان المذهب الذي ساد في نوباتا تلك الفترة هو مذهب الكنيسة المصرية اليعقوبي، و هذا بعكس المذهب الملكاني الذي انتشر في مملكة المقرة الجنوبية قبل أن ينتشر اليعقوبي في تلك الأرجاء أيضا، أما اللغة المستعملة في مملكة نوباتا فهي اللغة النوبية، ولكن بلهجة مختلفة عن اللهجات النوبية الأخرى. **(سعد، 2011، الصفحات 59-60)**

2-1 مملكة المقرة (Elmakara):

تقع مملكة المقرة في المنتصف بين مملكة نوباتيا ومملكة علوة، وكانت عاصمة مملكة المقرة هي دنقلة، وتميزت مملكة المقرة بالازدهار في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وصارت للمملكة القوة بين جيرانها وقامت بحماية المسيحيين في صعيد مصر ، وقام نظام الحكم في المقرة على الملكية ، حيث كان نظام الوراثة بهذه المملكة يتعاقب من أب إلي ابن، ولكن في القرن الحادي عشر الميلادي ورث الخال الملك إلي ابن أخته وهذا النظام في الأصل يعد كوشيا.

الحقت مملكة نوباتيا بمملكة المقرة في القرن الثامن الميلادي، وتشير المصادر العربية المعاصرة الي مملكة واحدة فقط وهي مملكة المقرة، وأسمتها "مملكة نوباتيا والمقرة"، حيث امتدت هذه المملكة من جنوبي أسوان إلى منطقة الأبواب، يبدو أن إختيار دنقلة عاصمة للدولة المسيحية في الشمال كان نتيجة لوقوعها في منطقة يتسع فيها الوادي، حيث يسمح بقيام حياة بشرية مستقرة **(سعد، 2011، صفحة 21)**.

3-1 مملكة علوة:

نشأت مملكة علوة؛ على أنقاض مملكة مروى بعد سقوطها على يد الملك عيزانا قرابة منتصف القرن الرابع الميلادي، وهي تقع على نهر سيدا (Seda) جنوبي التقائه بنهر تكازى (Takkazi) (أتبرا) **(سعد، 2011، صفحة 82)** ، عاصمتها "سوبا" بالقرب من الخرطوم، امتدت هذه المملكة ما بين الشلالين الخامس والسادس في الشمال وبحر الغزال في الجنوب، ولا يعرف الكثير عن هذه المملكة بسبب بعدها عن مصر، ولكن كانت بينها وبين مملكة أكسوم الحبشية صراعات، بسبب مساعدة ملوكها لقبائل البجة التي كانت تغير على حدود مملكة اكسوم الحبشية، ومن أهم المعلومات عن مملكة علوة هي ما أشار إليه المؤرخ العربي ابن حوقل، والذي أكد على أن مملكة علوة كانت كبيرة وأكثر ثراء من مملكة المقرة، وان حدودها كانت تمتد من إثيوبيا شرقا إلي كردفان غربا.

دخلت المسيحية إلي النوبة بشكل موسع في القرن الرابع الميلادي بعد أن عين اثناسيوس بابا الإسكندرية الكاهن مرقص علي جزيرة فيلة عام 373 م , ومن المعروف أن معابد فيلة قد استغلت ككنائس، بالإضافة إلي تشييد كنائس بنفس الجزيرة , ولكن الحدث الابرز في تاريخ المسيحية في النوبة كان في اواخر القرن السادس، عندما هزم حاكم نوباتيا سيلكو البليميين وسجل انتصاره عليهم على جدران

معبد كلابشة، ومن خلال النص يبدو ان الملك النوباتي دخل الديانة المسيحية.(**سعد، 2011، صفحة 83**).

2. **النظم والحضارة في ممالك النوبة المسيحية:**

بالنسبة للتنظيم السياسي؛ منذ عام 580م بقيت هذه الممالك الثلاث المسيحية مستقلة بشؤونها تحت حكم رؤساء وطنيين، هناك شح في المعلومات المصدرية عن التنظيمات السياسية، إلا أنه على قلتها وغموضها لا تخلوا من فوائد حول نظام الحكم ووراثة العرش والتعريف بالملوك وسلطانهم.

في مملكة المقرة فإن ملوك النوبة توارثوا عرش آبائهم، مخالفين في هذا المبدأ الوراثي القديم الذي قام على اساسه المجامع النوبي، على أن مخالفتهم لهذه القاعدة لم تدم طويلا، ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي أمست عملية انتقال الملك إلى ابن الأخت أو ابن البنت، هي الظاهرة السائدة في التاريخ الملكي النوبي حتى أضحى ركنا من أركان سياستهم التي ساروا عليها فيما بعد.

هذا النظام خلق مشاكل لم يكن عليهم حلها، فظهر الإنقسام والتخاصم بينهم، مما أدى إلى سقوط المملكة المسيحية في الشمال، مع تعيين حكام على أقاليم المملكة ويطلق عليهم جميعا لقب الملوك، لكنهم جميعا خاضعين للملك الكبير بدنقلة (**سعد، 2011، صفحة 88**).

إلى جانب الحكام الإقليمين بالمريس ودنقلا، هناك طبقة أخرى من صغار الموظفين يحملون ألقاب خام الملك أو أمين خاص الملك أو أمين أول القصر الملكين وهي وظيفة كبيرة، حيث يشغل صاحبها إما منصب حاكم أو قاضي، أو يباشر بعض الشؤون المالية وغيرها، الملاحظ أن تعدد الألقاب والوظائف يدل على مدى التعقيد في الإدارة النوبية.

أما عن مملكة علوة فجل تنظيماتها تشبه التنظيمات في مملكة المقرة، وملوكها يتبعون نظام الأمومة في وراثة العرش، وملوك علوة تمتعوا بسلطة مطلقة على رعاياهم مثل ملوك مقرة، فالملك هو صاحب الأرض والشعب كله عبيده، لا يخالفون له أمرا ولا يعصونه بدليل قول ابن سليم: **" وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه، بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الو اقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره" (سعد، 2011، صفحة 90)**. كما أن المملكة انقسمت إلى ولايات عرفت كل واحدة منها بالمملكة، وعلى رأس كل منها ملك يمثّلها مثل مملكة المقرة.

بالنسبة للمجتمع النوبي؛ فإنه يتكون من ثلاث طبقات؛ الطبقة الحاكمة وطبقة العبيد وهم عامة الشعب النوبي، يتوسطهم طبقة الموظفين يتولون مختلف الوظائف الملكية في العاصمة والأقاليم

وعددهم محدود، والواضح أن الطبقة الحاكمة الشمالة للأسرة المالكة وفروعها هي وحدها التي مارست حقوقا سياسية ودينية.

أما التنظيمات الكنسية؛ تشير جميع المصادر العربية والقبطية أن كل بلاد النوبة اتجهت بزعامتها الروحية إلى الكنيسة المصرية، بدليل أن المقاطعات الكنسية التي أوردها فانسليب (Vansleb) تشمل مقرة وعلوة وتشمل ثلاثة عشرة أسقفية كلها تابعة للكنيسة المصرية.

غير أن الكنيسة الملكانية لم تتخل عن حقوقها الدينية على مقرة، لكن ابتداء من القرن الثامن الميلادي تحول أهلها إلى مذهب الكنيسة المصرية وبهذا أصبح لبلاد النوبة كلها (مريس، مقرة، علوة) كنيسة موحدة.

بالنسبة لتأثير الكنيسة النوبية في حياة الناس؛ يبدو أنه لم يكن قويا، حيث بقي الشعب النوبي يعيش مثلما كان قبل دخول المسيحية إليه، حيث أن جل هذه الطقوس الدينية تؤدى بلغة أجنبية فلم تختلط بالعقيدة الجديدة بقلوب الناس، حيث بقيت هذه الطقوس مظهرا تقليديا رسميا فقط، واكتفى النوبيون بترجمة الطقوس إلى اللغة النوبي،ة والتي لم تتخل عن بعض المعتقدات الوثنية القديمة.

كما كان للغة القبطية نفوذ واسع في بلاد النوبة، علاوة على أنها لغة الوثائق الرسمية حتى القرن العاشر الميلادي، نجدها قد استخدمت في أغراض دينية، وكثيرا من شواهد القبور التي عثر عليها مكتوب باللغة القبطية وأحيانا اليونانية **(سعد، 2011، الصفحات 93-94)**.

وفيما يتعلق بالإقتصاد النوبي؛ فحسب كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب، وعلى قلتة المعلومات التي أوردوها فيما يخص هذا الجانب، فإن المجتمع النوبي اعتمد على نوعين من الحرف وهما الزراعة والتجارة فضلا عن وجود الرعي في مملكة علوة.

فكانت زراعتهم تعتمد التسميد ليحافظوا على خصوبة التربة، لانهم يزرعون مرتين في السنة، وقد اقتصرت زراعتهم على أنواع محدودة من الذرة وقليل من الشعير والسمسم واللوبيا، هذا فضلا على انتشار أشجار النخيل في المدرجات العليا والكروم.

وإلى جنوب دنقلة حتى حدود علوة؛ يبدو أن هذه الجهات أغنى مناطق دنقلة، حيث تكثر القطعان الماشية وتتسع حقول القمح وحدائق الكروم وأشجار النخيل، ومما لا شك فيه أن مملكة علوة أغنى وأوسع ثروة من مملكة مقرة لاتساع اوديتها وخصوبة أراضيها، التي تعتمد في ريها من النيل فيكثر فيها النخيل ،ويزرع بها الذرة وكل البقول من السلجم والبصل والفجل والبطيخ والقثاء.

رغم اتساع رقعة الزراعة في مملكة علوة، إلا أن سكانها كانوا دون مستوى حضاري لأهل مقرة، فلم يستغلوا خصوبة أرضهم استغلالا اقتصاديا، ولم يبذلوا جهدا في الإكثار من المحصول واتباع وسائل التسميد **(سعد، 2011، صفحة 98)**.

أما التجارة؛ فيبدو أن النوبيون قد أدوا دور الوسيط للحصول على عمولة أو رسوم حماية التجارة وطرق القوافل، فلم تعرف العملة الذهبية إلا في منطقة مريس أما الجنوب فيتم التبادل التجاري بالمقايضة بالرقيق والمواشي والحديد والحبوب، وقد كانت هناك محطات تجارية بالمنطقة أشهرها المنطقة التي ذكرها الإدريسي اسمها بلاق، يرجّح أنها تقع قرب التقاء النيل بأتبرا، وفي هذا المكان يلتقى تجار مصر والنوبة والحبشة **(سعد، 2011، صفحة 99)**.

أما عن مظاهر الحضارة النوبية في العهد المسيحي؛ يمكن القول أنه أهم آثارها المادية تتمثل في الكنائس المبعثرة هنا وهناك من جنوب أسوان إلى سنار جنوبا، يغلب عليها جميعا طابع عام مشترك والمعروف باسم باسيلكا (Basilika) ، هذا وكان الفن المعماري في وادي النيل يختلف من مكان إلى آخر باختلاف المواد الطبيعية ودرجة كثافة السكان ومستواهم الحضاري، يبدو أن طابع البناء النوبي متأثر بفقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية وضعف المستوى الفني، حيث استعان النوبيون ببعض الفنانين البيزنطيين لبناء كنائسهم وزخرفتها، إلا أن مادة البناء من الطوب واللبن والطين باستثناء بعض الكنائس التي بنيت من الحجر مثل كنيسة فرس وكنيسة دير الغزال **(سعد، 2011، الصفحات 99-100)**.

وقد اقتصرت الزخرفة على الرسوم والنقوش على جدران الكنيسة الداخلية، وهي عبارة عن صور القديسين ومشاهد الإنجلي وأخرى لميلاد المسيح، هذه النقوش دليل على البساطة وعدم النضج، لكنها توضح في الوقت نفسه رغبة الفنانين وتحمسهم لفنهم. أما مساكنهم فهي مبنية باللبن وطرازها بسيط ساذج. كما عرفت المنطقة الفخار في كل من دنقلة وسوبا، وأجود أنواع الفخار يرجع إلى القرن التاسع والعاشر الميلادي **(سعد، 2011، صفحة 100)**.

3. سقوط مملكتي مقرة وعلوة:

1-3 سقوط مملكة مقرة:

منذ الربع الأول من القرن الرابع عشر، لم تعد بلاد النوبة وطن النوبيين فحسب، بل شاركهم فيها قبائل عربية من غير بني كنز، حيث لم يعد الشلال الثاني حاجزا يمنع تدفقهم جنوبا ، بل كثيرا من الجماعات العربية التي تعيش في مصر، والتي اشتركت في الحملات المملوكية على بلاد النوبة مدة نصف

قرن من عام 1276 إلى غاية 1323م، هذه الجماعات استقرت في مقرة عقد انسحاب القوات المملوكية مثل بني بكر، بني عمر، بني شيبان، بني هلال وغيرهم.

والواضح أن دولة كنز قد استعانت بالعرب المقيمين في بلاد النوبة للوصول إلى سدة العرش، حيث أصبح العرب قوة وكثرة عددية تمكنوا من التغلب على بقايا بيوت الإمارة النوبية القديمة، فضلا عن تحدي السلطان المملوكي والإستقلال عنه، حيث كان دور العرب الذين استقروا في بلاد النوبة هو القضاء على مظاهر الملكية النوبية المسيحية، بإزالة البيت الملكي النوبي القديم وإحلال العنصر العربي محله، حيث اختلط النوبيون واعتنق الكثير منهم الإسلام منذ القرن التاسع الميلادي، وهذا في أرض مريس ثم فيما بعد جنوبا منذ منتصف القرن الثالث عشر ميلادي، حيث انتشر الإسلام في بلاد النوبة سيما بعدما أضحى ملوك النوبة من المسلمين وبذلك اقطعت الجزية بإسلامهم (معاهدة البقط) حسب ابن خلدون.

وخلاصة القول؛ أنه لم يكد ينتصف القرن الرابع عشر، حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية حتى أواخر القرن الخامس عشر. الأمر الذي عجل بسقوط مملكة مقرة التي ظلت تقاوم لوحدها دون نتيجة، وهذا بسبب الضغط العربي والمملوكي عليهم وعدم دعمهم من الممالك المسيحية المجاورة، لاسيما أمام النزاع الذي نشب بين ملوك النوبة وملوك علوة، والذي كان من أهم العوامل التي عجلت بسقوط مملكة مقرة عام 1323م. وظل بنو كنز يمثلون أقوى العناصر النوبية المستعربة في بلاد النوبة، حتى نهاية الدولة المملوكية الثانية في مصر والشام عام 1517 على يد السلطان سليم **(سعد، 2011، الصفحات 124-125)**.

2-3 سقوط مملكة علوة:

بعد سقوط مملكة مقرة المسيحية أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، أدى إلى ازدياد موجة الهجرات العربية، وتعتبر هجرة جهينة العربيةالتي أشار إليها ابن خلدون هي واحدة من خليط هائل من القبائل العدنانية والقحطانية وبطونها المختلفة التي تجمعت في أنحاء النوبة الشمالية عقب سقوط دنقلة، هذه القبائل اتجهت جنوبا نحو سنار الحالية بسبب فقر البيئة الشمالية للنوبة وندرة مراعيها، حيث قال عنهم ابن خلدون: **" و انتشروا (أي جهينة) ما بين صعيد مصروبلاد الحبشة وكاثروا هناك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد" (ابن خلدون، تاريخ العبر).**

يبدو أن العرب لم يجدوا مقاومة قوية من قبل ملوك علوة، حيث نجح العرب في تحقيق مآربهم لا بحد السيف بل بالإختلاط والتزاوج من بنات المملكة. في البداية كانت هذه القبيلة تحت سلطان علوة، محافظة على نظامها القبلي وكانوا يدفعون الأتاوى لملوك علوة، ومع وصول هجرات جديدة على مر القرون كثرت أعدادهم، حيث أصبح لجهينة 25 وحدة قبلية قرب سوبا على النيل الأزرق، وأكثر منها في الأقاليم الغربية في أوائل القرن السادس عشر ميلادي، ثم اشتد ضغط أعراب جهينة على ملوك علوة الذين حاولوا صدهم، ولما لم يستطيعوا لهم دفعا استمالوهم بالمصاهرة، فانتقل الملك إلى أبناء جهينة ببنات ملوك علوة حسبما يقتضي به نظام الوراثة المعروف عند النوبيين جميعا، ففترق ملكم كما قال ابن خلدون في القرن الخامس عشر ميلادي **(سعد، 2011، صفحة 191)**.

المعروف أن مملكة علوة المسحية تألفت من عدة ممالك صغيرة خاضعة للملك الكبير في سوبا، هذه الممالك الصغيرة هي التي انتقل سلطانها لأبناء جهينة، في حين قام السلكان الأكبر بتحويل المدينة تسمى سوبا بمدينة كوسة في القرن الرابع عشر، وبهذا تفقد سوبا مكانتها القديمة.

وما يمكن قوله؛ أن قبائل جهينة لم تكن الوحيدة التي أفادت من تداعي مملكة علوة وانحلالها، بل شاركتها القابئل العربية الأخرى، التي استقرت في جهات متعددة من مملكة علوة، وعلى هذا نشأت في جوفها عدة امارات عربية مستقلة.

في القرن الخامس عشر؛ ظهرت عدة ممالك ومشيخات اسلامية في حوض النيل الأوسط، وكان لظهورها أثر خطير في تطور الحياة الإجتماعية والسياسية، مما ساعد على زوال بعض الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية في علوة، واضحت الأرض ملكا للجماعة القبلية بعد أن كانت ملكا خاصا للملك، وصارت الأرض توزع على الجماعة، يقومون على استغلالها ودفع الضريبة عنها لشيخ القبيلة أو زعيم الدار، وهذا يعني الأنتقال من مرحلة الإقطاع المطلق إلى نظام يعطي للفرد نصيبا من جهوده.

وثمة تطور آخر على الحياة السياسية، وذلك بالانتقال من نظام الوراثة القديمة القائم على نظام الأمومة إلى نظام وراثي في بيت شيخ القبيلة أو الدار، والذي يتكون من مجموعات القائل في الإقليم الذي اتخذته دارا لها، ولعل أهم قيام هذه المشيخات الإسلامية في حوض النيل الأوسط، كان بسبب ازدياد انتشار الإسلام بين كثير من أهل البلاد **(سعد، 2011، الصفحات 191-193)**.

رغم التطور الإجتماعي والسياسي في هذا الجزء من النيل، إلا أن هذا لم يؤد إلى الإستقرار بفعل اختلال الأمن والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعي، وبين الوطنيين من ناحية أخرى، مما أدى إلى

تدهور الأوضاع الإقتصادية ، الأمر الذي تم التفكير في انشاء حكومة مركزية تخضع لها شتى الجماعات والقبائل المتنازعة، لإقرار الأمن وحماية طرق التجارة القديمة.

وهنا قام عمارة دنقس زعيم الفونج وجمع رجاله في جبل مويا، وتحالف معه عبد الله (عبدلاب) شيخ عرب القواسمة من جهينة ،فأخضعوا ملك العنج وملك الغرب عام 1505م، فانتصر فيها الحلفان ففر العنج إلى جبال فازوغلي وكردفان، وبقي منهم القليل اعتنقوا الإسلام **(سعد، 2011، صفحة 194)**.

وقد اشترط الحلف بين الحليفين عمارة وعبد الله؛ أن يكون عمارة هو المقدم على زميله في الزعامة وحمل لقب الملك، على أن يحل عبد الله محله مدة غيابه وحمل لقب شيخ، حيث انتقل هذا النظام الذي وضع أساسه الحليفان إلى أولادهما من بعدهما.

اتخذ عبد الله مدينة "قرى" مقرا له، وأخذ عمارة مدينة سنّار لتصبح عاصمة الفونج التي امتدت مساحتها من سواكن شرقا إلى النيل الأبيض غربا، ومن أقصى جبال فازوغلي جنوبا إلى الشلال الثالث شمالا، أي انها اشتملت على معظم النوبا العليا علوة وقسم كبير من بلاد النوبة الشمالية مقرة، حيث يقال أن حملة حربية أرسلها ملك سنار لإخضاع النوبة السفلى قد وصلت حتى الشلال الثالث، ولما أراد قائد الحملة التقدم شمالا هزمته جيوش الغز الأتراك عند "حنك"، وبهذا ظلت حنك (شمال دنقلة) تمثل حدا فاصلا بين نفوذ الفونج جنوبا وبين نفوذ الأتراك الذي شمل النوبة السفلى من حنك إلى أسوان.

وهكذا تم ميلاد هذه الدولة الإسلامية أوائل القرن السادس عشر ميلادي، على أنقاض مملكة علوة المسيحية، هذه الدولة اشتملت على عناصر مختلفة؛ عربية، حامية، شبه زنجية، وهي ذات ثقافات مختلفة ومختلطة **(سعد، 2011، الصفحات 195-196)**.

1- قيام مملكة الفونج الإسلامية:

كان لسقوط دولة المقرة في شمال النوبة على يد المسلمين ، واعتلاء عرشها ملك مسلم عام 1317م، تمهيدا لتحول السلطة في كل أقاليم النوبة الوسطى والجنوبية للقبائل العربية المسلمة ، وقد مرت فترة ليست بالقصيرة حتي قيام مملكة الفونج الإسلامية، حيث تكاثر العرب في إقليم علوة ، وبرز وجودهم بصورة واضحة حتى طغى على السكان الأصليين ، وإنتشر بذلك الإسلام يوما بعد يوم.

لقد كان قيام مملكة الفونج الإسلامية، ثمرة تحالف بين الفونج بقيادة زعيمهم عمارة بن عدلان (دنقس)، والعبدلاب بقيادة زعيمهم عبدالله جماع سنة 1504م على أرجح الأقوال، حيث تشير المصادر إلى أن عبدالله جماع زعيم العبدلاب، قام بالدور مهم في هذا الحلف وعمل على تجميع

كل القبائل العربية في المنطقة ، كما كان للفونج الدور الاعظم بساقط مملكة علوة المسيحية ، لتحقيق أهدافه وغاياته النبيلة في الإنتصار للإسلام والمسلمين **(بوجمعة، 2020، صفحة 73)** ، فكان عمارة معروف بثقابة الفكر ، وسداد الرأي ، وقوة الشكيمة ، وكان ظهوره في مسرح الأحداث في السودان في مستهل القرن السادس عشر الميلادي نقطة تحول بارزة في تاريخ السودان، أما الفونج فقد كان دورهم الرئيسي في قيام المملكة هو الإشتراك بقوة عسكرية غالبة أدت إلى سقوط دولة علوة وتخريب عاصمتها سوبا.

إن قيام دولة الفونج كان من الأحداث ذات الشأن في تاريخ النوبة وإفريقيا ، ولم يكن مثل هذا الحدث أمراً هيناً كما يتصور البعض ، وقد ترتبت عليه نتائج هامة علي الصعيدين المحلي والعالمي ، وقيامها كان إعلانا رسميا لإنتشار الدين الإسلامي والسيطرة العربية في بلاد النوبة.

لقد بدأ بقيام دولة الفونج الإتصال الرسمي بين النوبة والبلاد العربية والإسلامية ، وهذا يعتبر تحولا هاما ومنعطفا خطيرا ستكون له آثاره المستمرة علي مدي بعيد ، وكان انتصارا لحركة الجهاد الإسلامي في إفريقيا ، إذا عمّ الفرح والسرور معظم البلاد الإسلامية، لأنها كانت بلسما لجراح المسلمين الذين أصابهم الحزن والاسي لسقوط دولة الأندلس على يد المسيحيين عام 1492م في وقت قريب من قيام دولة الفونج **(محي الدين، 1972م ، الصفحات 16-17)** .

1- المظاهر الحضارية لمملكة الفونج الإسلامية:

لقد وضعت الأسس الأولي للنظام السياسي والإداري الذي سارت عليه دولة الفونج الإسلامية في الإتفاق الذي تم بين عمارة دنقس وعبدالله جماع، وبهذا الاتفاق تم ترتيب نظام الحكم والإدارة، حيث اختار مؤسسا الدولة النظام الملكي الوراثي أسلوبا لممارسة الحكم والإدارة .

وبموجب هذا النظام أصبح عمارة دنقس زعيم الفونج ملكا على رأس الدولة، يمارس سلطاته من عاصمته التي اختطها وهي مدينة "سنّار "، بينما يكون عبدالله جماع وقومه، نواباً عنهم في إدارة الأقاليم التابعة لهم في القسم الشمالي من الدولة وعاصمتهم "قرى".

ولم يكن هذا النظام الملكي غريبا على النوبة ، فقد كانت مملكتا المقرة وعلوة ، تمارسان نظاما ملكيا ، كما أن هذا النظام الملكي الوراثي مألوفا في الدول الإفريقية والبلاد العربية منذ القدم .

ولم يكن النظام الملكي لدولة الفونج الإسلامية ، نظاما مستبدا كما يظهر للوهلة الاولي ، وإنما كان يأخذ بالشورى ، فقد كان للدولة مجلس شوري يساعد في اختيار الحكام وتسيير شؤون الدولة ، وكذلك يقوم بعزل السلطان إذا اقترف ما يستحق العزل **(بوجمعة، 2020، الصفحات 75-76)**.

وقد أخذت الدولة بنظام الحكم اللامركزي ، لأنه يناسب طبيعة النظام القبلي الذي يتلائم مع الحرية ، كما يناسب أيضا طبيعة التحالف بين الفونج والعبدلاب ، الذي يعطي العبدلاب قدرا كبيرا من الحرية والاستقلال الذاتي في ظل التبعية لملوك سنّار داخل الدولة الواحدة . كما أن النظام اللامركزي يناسب أيضا ما يتطلبه اتساع بقاع السودان، من توفر قدر كبير من الاستقلال والحرية والحكم اللامركزي . ويتضح لنا أن نظام اللامركزية كان النظام الامثل والاوفق لمقابلة ظروف السودان في تلك المرحلة.

اعتمدت دولة الفونج الإسلامية اعتمادا كبيرا على الجهاز الحربي ، فقد رأينا أن ظهورها كان ثمرة انتصار حربي ، وأن دور الفونج الاساسي في الحلف الذي أدي إلى اسقاط دولة علوة وتخريب عاصمتها سوبا ، هو مهمة تجهيز الجيش **(بوجمعة، 2020، صفحة 77)**.

بالنسبة للتنظيم الإقتصادي؛ فقد كان انعكاسا لسياسة الدولة الإسلامية الناشئة ، فقد أصبحت مظاهر الاقتصاد في كثير من جوانبها إسلامية خالصة ، واخذت الدولة بالنظام الضريبي الإسلامي المتمثل في الزكاة والعشور والخراج، كما أخذت بنظام بيت المال الإسلامي وموارده المختلفة ، وأصبح نظام ملكية الأرض مشابها لنظام الملكية في الدولة الإسلامية ، وتحولت ملكية الأرض للدولة بعد أن كانت سابقا ملكا خاصا للملك.

كما كان النظام الاقتصادي في دولة الفونج؛ انعكاسا للحكم اللامركزي الذي سارت عليه الدولة، فقد كانت اللامركزية تشمل أيضا فروع بيت المال في الأقاليم، ولم تكن الإدارة المحلية تتطلب دخلا كبيرا ، لذلك لم يفرض ملوك سنّار على أقسام دولتهم غير جزية معلومة بسيطة يجمعها حاكم القسم ويدفعها للدولة ، وفي ظل هذا النظام اللامركزي للتنظيم الاقتصادي ، اكتفت الدولة بالإشراف العام على الإقتصاد ولم تتدخل تدخلا كبيرا في التحكم في توجيهه أو احتوائه **(بوجمعة، 2020، الصفحات 78-79)**.

لقد كان لقيام دولة الفونج الإسلامية ، ميلاد دولة عربية إسلامية ، ذات إتجاه فكري محدد نحو الإسلام والحضارة الإسلامية ، أين استطاعت هذه الدولة الجديدة أن تحتوي العنصرين العربي والإفريقي

في تكامل ثقافي في بوتقة الحضارة الإسلامية، فلم يعد هناك صراع أو تنافر وإنما حدث إنسجام تام وانصهار داخل الوعاء الحضاري الجديد، انبثقت منه كل الاسس الفلسفية والفكرية للمظاهر الحضارية في دولة الفونج الإسلامية .

2- تدهور دولة الفونج وسقوطها :

بلغت دولة الفونج أوج قوتها واتساعها في عهد السلطان بادي أبوشلوخ ، إذ تحققت في عهده أعظم انتصاراتها على الحبشة وكردفان، غير أن هذا العهد كان يحمل في طياته بداية النهاية لهذه الدولة، فقد طغى الملك بادي وانغمس في اللهو والفساد، مما أدي إلي تحويل السلطة للهمج بزعامة الشيخ محمد أبولكيلك قائد الجيش في كردفان ، وتم عزل السلطان بادي ، وتولي الملك ابنه ناصر سنة1751م وكان ضعيفا ، فصار الحل والربط بين الهمج وتغلبوا على الفونج **(بوجمعة، 2020، صفحة 81)**.

بدأ عهد الضعف والإنهيار ، وأصبحت القوة هي الطابع الأساسي الذي ينظم علاقة الحاكم بشعبه ، وبدأ عهد الصراع بين الوزراء والملوك ، وانتهي عهد الشوري ، وامتد الصراع إلي الهمج أنفسهم فكثر القتل والعزل بين الملوك والوزراء والخلافات والحروب الأهلية .

لما دخلت جيوش محمد علي باشا بقيادة ابنه اسماعيل لم يجدوا أية مقاومة تذكر، ولم يسع زعماء سنّار الا التسليم والطاعة ، ووقع بادي السادس آخر ملوك سنار تنازلا عن جميع سلطاته لخليفة المسلمين بالقسطنطينية مبايعا له في 13 يونيو سنة 1821، وكان ذلك ختاما ونهاية لدولة الفونج الإسلامية التي ظلت تحكم السودان مايزيد على ثلاثة قرون **(بوجمعة، 2020، صفحة 82)** .

❖ نشاط إجمالي للمحاضرة:

السند:

إن قيام مملكة الفونج الإسلامية على أنقاض مملكة علوة المسيحية، كان من الأحداث ذات الشأن في تاريخ النوبة وإفريقيا ، ولم يكن لمثل هذا الحدث أمراً هيناً كما يتصور البعض ، فقد ترتبت عليه نتائج هامة على الصعيدين المحلي والعالمي ، فقيامها كان إعلانا رسميا لانتشار الدين الإسلامي والسيطرة العربية في بلاد النوبة.

التعليمة:

أكتب نصا تاريخيا لا يتجاوز 500 كلمة، تفسر فيه كيف تم انتقال السلطة في مملكة علوة المسيحية إلى زعماء مسلمين صبغوها بالصبغة الإسلامية، فساهموا في التطور الحضاري لمملكة الفونج الإسلامية الناشئة بدايات القرن السادس عشر في السودان الشرقي.

المحاضرة الثالثة عشر:
مملكة أكسوم في الحبشة

الهدف الخاص:

- أن يفسر الطالب عوامل قوة مملكة أكسوم بين ممالك إفريقيا في السودان الشرقي.

الاهداف الاجرائية:

- أن يوضح الطالب كيف قامت وتوسعت مملكة أكسوم في القرن الإفريقي بدقة وايجاز.
- أن يستنتج الطالب أسباب التطور الحضاري لمملكة أكسوم بمفرده وبشكل موجز ودقيق.
- أن يستخرج الطالب أسباب سقوط مملكة أكسوم بمفرده.

==========

1- الموقع الجغرافي:

أسس الأحباش[1] مملكة أكسوم في القرن الأول الميلادي، بالشمال الشرقي لإثيوبيا الحالية **(ابراهيم، 2016، صفحة 02)** ، أعلي جبال عدوة الشهيرة شرق إقليم تجراي بإثيوبيا، في نفس المنطقة التي كانت تعرف قديما بإسم الحبشة **(تهاني، مملكة أكسوم: الحضارة الأفريقية التي سقطت من التاريخ، 2023)**، توسطت مملكة أكسوم مجموعة من الأقاليم التي امتدت من إقليم كيرون في الشمال إلى إقليم لومبا جنوبا، ومن إقليم عدوليس في الساحل شرقا إلى مشارف تكازي غربا **(فريك، صفحة 365،)**، **(ماجي، 2015، صفحة 55، 56.)**.

يعود توسع المملكة حتى الساحل العربي الشرقي باليمن، إلى الظروف التي كانت تعيشها اليمن، أين استغل الأكسوميين انشغال اليمنيين بالصراع الداخلي، فانتقلوا إلى الشاطئ العربي المقابل واحتلال

[1] . يطلق لفظ حبشات على قبيلة عربية نزحت من جنوب الجزيرة العربية إلى سواحل ارتيريا، وبعدها توسعت نحو المرتفعات الجبلية، أين أصبحت هذه القبيلة من بين قبائل التي أسست مملكة أكسوم. ومن أقدم القبائل اليمنية التي هاجرت إلى الشواطئ الإريتيرية نجد قبيلة اجعزيان، هذه القبائل هي من أسست مملكة أكسوم في مرتفعات الاريتيرية وهضبة التجراي، ولم تحمل اسم الحبشة إلا في عهد متاخر. **ينظر:** عثمان صالح سبي، **تاريخ أريتيريا**، المكتبة الإرتيرية، د.د.ن، السودان، د.ت، ص 21

أجزاء من عسير وساحل الحجاز، كما امتدوا غربا حتى هضبة تجراي وبلاد النوبة **(عثمان أبوبكر، 1994م، صفحة 34)**.

2- التأسيس:

يرجع تاريخ ظهور مملكة أكسوم إلى القرن الأول ميلادي، بفضل عرب جنوب الجزيرة من اليمنيين والخضارمة الذين استقروا في الحبشة، فكانوا النواة الرئيسية لمملكة أكسوم في هضبة تيجراي، أين تبين آثار النقوش الصخرية المكتوبة بخط المسند وتشابه المعمار الحبشي الأكسومي باليمني. في حين يرى آخرون أن الأحباش هم من قاموا بتأسيس مملكة أكسوم، وجعلوا عاصمتها مدينة أكسوم الواقعة شمال شرق إثيوبيا في القرن السابع قبل الميلاد **(رجب، 1985، الصفحات 16-17)**.

قسم المؤرخون تاريخ مملكة أكسوم إلى فترتين هما: الفترة الممتدة من قيام أكسوم حتى دخول الديانة المسيحية للمملكة، والفترة الثانية تبدأ بتحول الملك عيزانا ملك أكسوم إلى المسيحية في القرن 4م حوالي 320م وتستمر إلى سقوط المملكة **(الإفريقية، صفحة 55)**.

3- التطور السياسي لمملكة أكسوم:

في بداية الأمر كانت مملكة أكسوم عبارة عن دويلات صغيرة، ثم اتحدت لتأسيس المملكة التي كان هدفها في بداية الأمر إخضاع القبائل المجاورة والسيطرة عليها، أين تبنت في بداية الأمر نظام حكم لا ملاكزي **(سبي، الصفحات 26-25)**, هذا المجتمع تميز بسيطرة الملك وأقربائه على المملكة، لكن مع ازدهار المملكة عمل الملك عيزانا على تغيير نظام الحكم المركزي الذي يقوم على مجموعة من الركائز الاجتماعية (الإمبراطور؛ رجال الدين؛ الأروستقراطية؛ الفلاحون) ، بعد إخضاع وأسر الملوك الذين تولوا الحكم في إمارات مختلفة **(نصر الدين، 1985، الصفحات 57-61)**. توالى على حكم المملكة عشرون ملكا ما بين (ق1م – ق10م) ابرزهم عيزانا، كالب، ذوكاليس، أفيلاس، الديميلي، اوسناس، ...الخ

4- المظاهر الحضارية لمملكة أكسوم:

من المعروف أن مملكة أكسوم كانت من أثرى الحضارات القائمة في القارة السمراء في ذلك العصر، ويعود الفضل في ثراءها وقوتها إلى ميناء "عدوليس" على البحر الأحمر، فقد كان هذا الميناء مركزا تجاريا عالميا، فكان يرد إليه الذهب والعاج وكافة المواد الخام من الأجزاء مختلفة في إفريقيا **(تهاني، صفحة 2)**.

خلال القرن الرابع الميلادي، حكم أكسيوم ملكا يسمي عيزانا كما ينطق باللغة الجعزية، وهي لغة ابتكرتها تلك المملكة، وعندما اعتنق ذلك الملك المسيحية، جعلها الديانة الرسمية للمملكة، وفي عهده بلغت مملكة أكسوم أوج قوتها التجارية والعسكرية، حتى إنه شكل جيشا استطاع أن يهزم به مملكة مروي السودانية في الشمال، وتمكن من القضاء عليها عام 350 ميلادية. **(تهاني، صفحة 2)**.

تميز نظام الإدارة في أكسوم بهيكل هرمي من أعلى مرتبة، يمثلها الملك إلى أدنى طبقة يمثلها الفلاحين، فكانت السلطة مطلقة للملك مع تولي أفراد أسرته المناصب العسكرية والإدارية، منهم حكام مقاطعات ورؤساء قبائل وملوك **(افريك، صفحة 388)**.

أما عن الجانب العسكري؛ فكان للمملكة جيش بري وبحري، بالنسبة للجيش البري يتألف من مجموعة من الأفواج لكل فوج اسم خاص به، نسبة لمقاطعته أو قبيلته، كما ينقسم الجيش إلى وحدات الكوموندوز ومقاتل الفيلة ووحدات المشاة. هذا وتكشف الرحلات الإستكشافية إلى أن مملكة أكسوم تتوفر على أسطول بحري قوي على سواحل ميناء عدوليس، كونها البوابة التجارية الأكثر أهمية في منطقة القرن الإفريقي.

بالنسبة للقضاء؛ كان في بداية الأمر يفصل فيه الملك، لكن فيما بعد تم تعيين حكام للفصل في قضايا الناس، مع العودة إلى الملك في القضايا المعقدة، فكان القضاء يمارس في ساحة مكشوفة، يجلس الملك ومجموعة من الشيوخ من بينهم كاهن، فيقوم المتقاضون بعرض قضاياهم على الملك أمام الشهود، وبعدها يقوم الكاهن بتلاوة نص الحكم وينفذ مباشرة بعد صدوره **(بوليس، د.ت، صفحة 30)**.

كما ازدهرت الحياة الاقتصادية بالمملكة؛ انتشرت فيها الحرف والمهن مثل الحدادة، النحت والفخار بين أغلب السكان، فكان سكان المملكة تهتمون بصناعة الفخار، الزجاج، الحدادة، كما نشطت تجارة مملكة أكسيوم مع أهم حضارات العالم القديم، بالخصوص مع الحضارة المصرية واليونانية وروما وبلاد فارس والهند وسيلان، لذلك كانت تجري تنسيقا استراتيجيا مع كل القوى البحرية المطلة على البحر الأحمر، وكانت أهم منتجاتها التجارية تعتمد على التوابل والصمغ العربي الذي يدخل في صناعة الحلويات والأدوية والغراء**(افريك، الصفحات 383-384)**.

من أهم صادرات أكسوم نجد؛ العاج، جلود الفرس، قرن الكركدن، دروع السلاحف، الذهب، الرقيق والتوابل، كانت المملكة تستعمل العملة الذهبية في معاملات التجارية، هذا واهتمت المملكة

بالزراعة، أين مارسوا زراعة الحبوب والكروم لصناعة النبيذ وفطائر القمح، كما بنوا السدود وأوصلوها بالمزارع، واهتموا بتربية المواشي.

بانتشار الإسلام في الجزيرة العربية وشمالي إفريقيا، عملوا على حصار مملكة أكسوم المسيحية، الأمر الذي أدى إلى اندلاع الحروب بين الطرفين، أهمها تلك الحرب التي شنها الإمام أحمد حاكم الصومال حينما أغار على المملكة، الأمر الذي دفع بملك الحبشة بطلب المدد من البرتغال لقوة أسطول مملكة الصومال، ولكن قطع الإمدادات من جهة البحر وجيش الإمام أحمد من الداخل، والصراعات الداخلية التي كانت في اليمن و حربهم مع المسلمين والشعوب المحيطة بهم طوال الفترة ما بين القرن السابع والعاشر الميلادي، أفقدت أكسوم القوة والأرض.

❖ الوضعية الإجمالية للمقياس:

السند 01:

يقول المؤرخ البوركينابي جوزيف كي زربو: " بعد تاريخ طويل من النزاعات العرقية والإثنية في السودان الغربي، والعزلة التي جعلتها منقطعة عن التطورات الحاصلة في شمال الصحراء، جاء القرن السابع الميلادي الذي حمل معه الإسلام الذي كان له كبير الأثر في تشكل الممالك الإفريقية الإسلامية التي أدخلت المنطقة إلى التاريخ المكتوب وجعلها تتفاعل حضاريا مع عالم الشمال الإفريقي تأثيرا وتأثرا". بينما عرف السودان الشرقي المؤثرات الدينية السماوية التي جعلت ممالكها القائمة هناك تعرف انتقال سلس للسلطة هناك إلى زعماء مسلمين صبغوها بالصبغة الإسلامية.

السند 02:

تعود جذور العلاقات العربية الإفريقية، إلى عهود سحيقة من الزمن، وكان أساسها التجارة الصحراوية، لكن بعد بزوغ فجر الإسلام وانتشاره في إفريقيا، كان له كبير الأثر في تشكل الممالك الإفريقية الإسلامية، أدخلت المنطقة إلى التاريخ العالمي نتيجة التفاعل الحضاري مع العالم العربي الإسلامي تأثيرا وتأثرا، أين أسس ذلك التمازج الحضاري والتاريخي لبناء مصالح مشتركة بين الثقافتين العربية الإفريقية، غير أن الظاهرة الاستعمارية للثقافتين أوجدت كسرا عميقا يستوجب إعادة النظر في تشكيل وبناء رؤية جديدة لمستقبل العلاقات العربية الإفريقية، الأمر الذي يظهر جليا في الأوساط الأكاديمية للدراسات الإفريقية في الجزائر ، بحثا في كيفيات وآليات إعادة بعث العلاقات بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء.

تعليمة:

بالرجوع إلى السند 01 والسند 02؛ أكتب نصا تاريخيا تبين فيه الدور الذي قامت به الممالك الإسلامية في ربط الامتداد الحضاري بين الشعوب الإفريقية والعالم العربي الإسلامي، وكيف يمكن الاستثمار في هذا الإرث الحضاري لبعث العلاقات من جديد بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء.

خاتمة

خاتمة:

من خلال تم تقديمه من محاضرات حول مقياس إفريقيا جنوب الصحراء، وما تضمنه من أهداف حول موضوع انتشار الإسلام في بلاد السودان، وتأثيراته في التكوين السياسي والحضاري للممالك بلاد السودان، وأهم ما تم استخلاصه من هذه المحاضرات ما يلي:

من خلال تطرقنا في المدخل المفاهيمي لمصطلحات المقياس وما تضمن المقياس من محاور؛ اتضح أن الفترة التاريخية المدروسة لهذا المقياس هي الفترة الوسيطة، لذلك فإن مصطلح تاريخ بلاد السودان هو الأنسب لهذا المقياس وليس مصطلح إفريقيا جنوب الصحراء، لأن مصطلح بلاد السودان وليد الفترة الوسيطة، وأطلقه الجغرافيون العرب، له مجال جغرافي محدد ما بين جنوب بلدان شمال إفريقيا وشمال خط الإستواء عند الدرجة 5°، أما مصطلح إفريقيا جنوب الصحراء، فهو وليد الفترة الحديثة، أطلقه الغربيون على كل المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، تمييزا لبشرتهم الصمراء عن سكان شمال إفريقيا البيض.

من خلال معالجتنا للإثنيات العرقية المتواجدة في بلاد السودان، تبين أن سكان بلاد السودان لم يحافظوا على نقاء عرقهم الزنجي، أين اختلطوا مع السكان البيض، وهذا نتيجة الإمتداد الجغرافي بين شمال وجنوب الصحراء، وبين المشرق العربي وشرق إفريقيا، فكان للهجرات السامية والحامية البيضاء، لبلاد السودان أن أحدث تنوعا عرقيا في المنطقة، إضافة إلى امتزاج العرق الأسود بالأبيض في مجتمعات السكان الأصليين مثل الماندينغ، الهوسا، في الغرب الكانم وهوسا في الوسط والفونج في شرق بلاد السودان.

عند مناقشتنا لمسألة العناصر التي ساهمت في نشر الإسلام في بلاد السودان تبين أن؛ للمشارقة الدور البارز في نشار الإسلام في شرق بلاد السودان، وهذا نتيجة القرب الجغرافي بينهما، وتحسبا للعلاقات التجارية التي ربطت بينهم منذ آلاف السنين، لكن انتشار الإسلام هنا كان بقوة السيف، لأن الممالك التي كانت قائمة بشرق السودان أغلبها كانت مسيحية، الأمر الذي استعصى فتحها بالسلم، مما دفع بالمسلمين الفاتحين إلى اشهار السلاح في وجه هذه الممالك مثل ممالك النوبة وأكسوم في الحبشة والبجة.

أما في وسط وغرب السودان؛ فكان العنصر المغاربي هو من حمل الرسالة المحمدية إلى هذه المناطق، بحكم الجوار الجغرافي والتجاري الضارب في عمق التاريخ، أين ساهمت مختلف الفئات في نشر الإسلام هناك من؛ التجار، الدعاة والفقهاء، المتصوفة، الهجرات العربية والبربرية، الأدارسة، المرابطون والموحدون، ...الخ، لكن بطرق سلمية، أين أخذ سكان هذه المناطق يعتنقون الإسلام عن قناعة، لما وجدوا فيه من السماحة والعدل، أخرجتهم من وحل الوثنية إلى نور الإسلام. دون أن ننسى العنصر المحلي من ملوكها ودعاتها، الذين ساهموا بشكل كبير جدا، في حمل هذه الرسالة ونشرها بين الرعية، الأمر الذي ساهم توسع نطاق الإسلام في ربوع بلاد السودان الفترة الوسيطة.

إن مؤثرات انتشار الإسلام في كل ربوع بلاد السودان؛ تتلخص في قيام ممالك إسلامية قوية هناك، ابتدأت معالمها تتضحمع نهايات حكم مملكة غانة الوثنية في السودان الغربي، لتنضج فكرة الحضارة الإسلامية في امبراطورية مالي الإسلامية، وتصل أوج الحضارة في مملكة السنغاي، التي ضعفت بعد حملة المنصور الذهبي على العاصمة الملكية غاو.

أما عن وسط السودان؛ فقد كانت مملكة كانم-بورنو أفضل مثال على ذلك؛ هذه المملكة التي قامت على أسس إسلامية صرفة فعمرت اثنا عشرة قرنا، أين بلغت أوج حضارتها في القرن السادس والسابع عشر، وكانت لها علاقات مختلفة الجزانب مع دولة العثمانية في شمال إفريقيا والمشرق العربي، إلا أن يد الإستعمار أطالتها وسقطت على يد الإستعمار البريطاني نهايات القرن التاسع عشر.

أما عن شرق السودان؛ فقد كان للهجرات العربية المتواصلة وللفتوحات الإسلامية المتتالية للمالك المسيحية النوبة، والجبشة ومملكة البجة الوثنية، أن أحدث ضعفا لهذه الممالك، مما سمح للعرب المهاجرين نتيجة المصاهرات وظهور فئة المولدين بشرق السودان، أن سهل فيما بعد قيام مملك إسلامية قوية، مثل مملكة الفونج العربية الإسلامية التي قامت على أديم مملكة علوة والمقرة المسيحيتين، فكانت بلسما لجراح المسلمين بعد فقدهم للأندلس، كما كانت منارة اسلامية حضارية في شرق السودان.

إن ما يمكن قوله؛ أن الحضارة والرقي الذي وصلت إليه ممالك بلاد السودان الفترة الوسيطة، كان نتاج الإشعاع الإسلامي الذي أنار هذه المناطق، فأخرجها من وحل الوثنية وبراثين المسيجية إلى نور الهدى والتحضر، أين ساهمت هذه الممالك في بناء الصرح الحضاري الإسلامي العالمي، لكن همجية الغرب الأوروبي طمس كل معالم هذه الحضارة، لتدخل هذه المناطق في نفق مظلم لازالت تحصد آثاره حتى اليوم.

لذلك فإن القول بأن؛ الأوروبيين أتوا لتنوير وتحضر إفريقيا، يعد تزييفا لحقيقة تاريخ هذه المناطق، لذلك جاء الهدف العام لهذا المقياس لابراز الدور المشرق للأفارقة وحضارتهم الراقية قبل وصول الأوروبيين إليهم، وما أقدموا عليه لطمس كل معالم الحضارة الإفريقية، في سبيل تسخير الأرض والبشر لخدمة الرجل الأبيض.

إن التاريخ هو أفضل معلّم للجميع؛ لذلك فإن إعادة مد جسور العلاقات الحضارية بين ضفتي الصحراء الكبرى، مهمة تلقى على عاتق الدول الإفريقية، والأفضل أن تتدارك هذه الدول ما تكتنزه من موارد بشرية وطبيعية والاستثمار فيها، بعيدا عن تدخل الأجانب واعتمادا على الذات، لأن مستقبل إفريقيا لن يعيد بناءه إلا الأفارقة بسواعدهم وبفكرهم، لا يتدخل الإمبرياليين الذين أفرغوا إفريقيا من محتواها الحقيقي، وجعلوا منها بؤرة للفساد والتخلف، بعد أن كانت ضوءا ساطعا يشعُّ على أوروبا المظلمة.

قائمة

البيبليوغرافيا

❖ قائمة المصادروالمراجع:

- **المصادروالمراجع باللغة الأجنبية:**

-Adolphe -Victor ،Malte -Brun .(1866) .Résumé historique et géographique de l'exploration de Gérard Rohlfs .Paris: Challamel.

-Chailley Mercel .(1968) .Histoire de l'afrique occidentale 1638-1959 .Paris :édition BERGER-LEVRAULT.

-Delafosse Maurice .(1941) .les noirs de l'Afrique . . Paris: Etitions Payot.

-Delafosse Maurice .(1912) .Haut Sénégal-Niger, Les peuples, les langues, l'histoire, les civilisations .Paris, Emile larose libraire.

-V .Derregagaix .(1882) .Exploration du Sahara , les deux missions du lieutenant-colonel Flatters .Paris: Imp .émile martinet.

- **المصادروالمراجع باللغة العربية:**

1. قائمة المصادر:

- ابن حوقل أبي القاسم. (1992). صورة الأرض. بيروت: مكتبة الحياة للطباعة والنشر.
- ابن خلدون عبد الرحمان. (2000). ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. د.م.ن: دار الفكر للنشر.
- ابن منظور أبو الفضل. (1997). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- الإدريسي. (د.ت). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مصر: مكتبة الثقافة الدينية للنشر .
- بوفيل. (1988). تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير . (المجلد ط2). (تر. الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، المترجمون) بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- الحموي ياقوت. (1977). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.
- السعدي عبد الرحمان. (د.ت)،تارخ السودان، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- القلقشندي أبو العباس أحمد. (1987). صبح الأعشى في صناعة الانشا (المجلد ط1). بيروت: دار الكتب المصرية.
- اليعقوبي. (1860). كتاب البلدان. باريس: طبعة بريل.

2. قائمة المراجع:

- اشكري احمد. (1998). مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية. الدارالبيضاء.
- بابكر فضل المولي حسين. (2005م). مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية . مطبعة دار السعادة: منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة العربية.
- بازل دافيدسون. (1961). إفريقيا تحت أضواء جديدة . بيروت: دار الثقافة للنشر .
- باري محمد علي فاضل. (د.ت). المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ و حضارة) . لبنان : دار الكتب العلمية.
- بانيكار ك. مادهو. (1998). الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا (المجلد ط2).
- بن فرتو أحمد. (د.ت). تاريخ إدريس ألوما. د.د.ن: الثقافة الإسلامية في التشاد.
- البكري أبي عبيد الله. (د.ت). المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب (المسالك و الممالك). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- بوليس مسعد. (د.ت). الحبشة أو اثيوبيا في منقلب من تاريخها. د.م،ن: د.د.ن.
- بيار جورج. (2002م). معجم المصطلحات الجغرافية، مر، هيثم اللمع، (المجلد ط2).
- التازي عبد الهادي. (1987م). التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم -عهد المرابطين- المغرب . (مجلد5). د د ن.
- جعفري مبارك بن الصافي. (2009). العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن12هـ. الجزائر : دار السبيل للنشر والتوزيع.
- جلال الدين محمود ابراهيم أحمد نصر الدين. (1985). القرن الإفريقي المتغيرات الداخلية والصراعات الدولية. القاهرة: دار النهضة العربية.
- حسن احمد محمود. (د.ت). قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى). القاهرة: دار الفكر العربي.
- حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله. السودان، دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة).
- حسن يوسف فضل ،. (1989). مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (1450-1821م) . (المجلد ط1). الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر.
- حسين عبد الله. (2012). المسالة الحبشية . القاهرة: مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، .
- حوتية محمد الصالح. (د.ت). آل كنته،دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة. د.م.ن: دار الكتاب العربي.
- حوتية محمد. محاضرات إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء. جامعة أحمد دراية، أدرار - الجزائر.

- جاويش مصطفى. (2016). النوبة أزمة هوية أم قضية أقلية . د.م.ن: المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية.

- الدالي المبروك الهادي. (1999). التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء (من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م) (المجلد ط1). القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

- ذهني محمد علي إلهام. (1988). جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 – 1914م). الرياض: دار المريخ للنشر.

- رجب محمد عبد الحليم. (1985). العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى. القاهرة.

- زبادية عبد القادر. (2010). دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- زبادية عبد القادر. (1989م). الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب .

- سبي عثمان صالح. (د.ت). تاريخ أرتيريا. ارتيريا: المكتبة الأرتيرية.

- شعباني نور الدين. (2015). محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي. الجزائر: دار الجزائر.

- شوقي الجمل. (1971م). تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها. القاهرة: د.د.ن.

- شوقي عطا الله الجمل. (1997م). تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم. القاهرة: دار الثقافة للنشر .

- شوقي عطا الله الجمل. (1998م). دراسات في تاريخ غرب إفريقيا . القاهرة: د.د.ن.

- شوقي الجمل، وعبد الله عبد الرازق إبراهيم. (2002م). تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر (المجلد ط2). الرياض: دار الزهراء للنشر و التوزيع.

- شوقي عطا لله الجمل. (1988م). الأزهر و دوره السياسي و الحضاري في إفريقيا . مركز وثائق تاريخ مصر.

- عبد الله علي محمد علي. (2014م). نهر النيل بين سد الألفية ونهر الكونغو (أزمات وحلول) (المجلد ط1). القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.

- عثمان أبو بكر محمد. (1994م). تاريخ أريتيريا أرضا وشعبا (المجلد ط1). القاهرة: د.د.ن.

- غيرستير جورج. (1961). الصحراء الكبرى. (حماد خيري، المترجمون) بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

- فريك جون. تاريخ إفريقيا العام حضارات افريقيا القديمة، تاريخ إفريقيا العام، (المجلد مج 2).

- فليجة أحمد نجم الدين. (د.ت). إفريقيا دراسة عامة وإقليمية. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

- فوزي فاروق عمر. قراءات ومرجعيات نقدية في التاريخ الإسلامي. (أحمد فؤاد، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- الفيتوري عطية مخزوف. (1998م). دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام) (المجلد ط1). بنغازي: منشورات قازيونس.

- الماحي، عبد الرحمان. (د.ت). الدعوة الإسلامية في إفريقيا (الواقع والمستقبل) . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- محي الدين محمد صالح. (1972م). مشيخة العبدلاب . بيروت : الدار السودانية دار الفكر .

- محمد عوض محمد. (1952). نهر النيل (المجلد ط3). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- مرجان سحر عنتر محمد احمد. (2011). فقهاء المالكية و أثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغى(628هـ-1000هـ/م1230م-1591م) . القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

- مصطفى محمد سعد. (2011)، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (بحث في تاريخ السودان وحضاراته حتى أوائل القرن السادس عشر ميلادي) . (المجلد ط1). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- مصطفى محمد سعد. (2011). الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (بحث في تاريخ السودان وحضاراته حتى أوائل القرن السادس عشر ميلادي) . (المجلد ط1). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- هوبكنز. أ. ج. (1998). التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية. (أحمد فؤاد بليع، المترجمون) القاهرة: المطابع الأميرية.

- الوزان الحسن. (1983). وصف إفريقيا (المجلد ط2). (جحي محمد، المترجمون) بيروت: دار الغرب الإسلامي.

السيرولاس بدج. تاريخ أثيوبيا .

- ويرنر دونالد. (د.ت). تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. (راشد البراوي، المترجمون) د.م.ن: دار الجيل للطباعة.

- يسري ابراهيم. (2016). النيل وسد النهضة (رحلة عبر التاريخ والجغرافيا) . (المجلد 3). مصر: المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية.

3- قائمة المقالات:

- انجاي مصطفى. (د.ت). "من كانم إلى صوكوتو : موجز التاريخ السياسي للسودان الأوسط" . (مجلة قراءات إفريقية) مج 14 (ع 35).

- طيب نعيمة، بوجمعة. قراءة في تاريخ مملكة الفونج الاسلامية (1505 - 1821 م). قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية. (مجلد 8). عدد 2.
- ماجي نادية. (جويلية-ديسمبر, 2015). مدينة أكسوم اليمنية بالحبشة -دراسة حضارية- . مجلة عصور (العدد 26-27) .

4- قائمة الرسائل والأطاريح الجامعية:

- بتقة إبراهيم. (2009-2010). مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920م). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، الجزائر.
- دعاشي سميرة. (2014-2015). الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية. الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والآثار، جامعة غرداية،.
- شعباني نور الدين. (2012-2013م). دور عائلة كايتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين 5-9 هـ/ 11-16م . كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الجزائر 2.
- عطية عبد الكامل. (2009/2010). التحولات السياسية والاقتصادية في السودان الغربي بين(1750 – 1914م). الجزائر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02.
- سالمان علي بدوى على. (2003م). الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903م-1960م) . معهد البحوث و الدراسات الإفريقية. قسم التاريخ. جامعة القاهرة.
- مرجاني عبد القادر. (2014-2015،). الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لغرب إفريقيا من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين خلال القرن 19م، . كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة غرداية.

5- قائمة الويبوغرافيا:

- أنا مسافر. (06 أفريل, 2023). تم الاسترداد من https://bit.ly/3LqKNEN
- بشار كرم جميل. (5 فيفري, 2013). دور السفارات في التواصل الحضاري بين المرينيين و دولة مالي الاسلامية في القرن 8هـ/14م. تم الاسترداد من www.philadelphia.edu.jo/.../session.../bashar.doc
- تهاني عبد السلام. (29 أفريل, 2023). "مملكة أكسوم"... الحضارة الأفريقية التي سقطت من التاريخ. . تم الاسترداد من https://bit.ly/3Nr5tiG
- الزناتي شيماء. (21 سبتمبر, 2022). أسماء دول إفريقيا جنوب الصحراء. تم الاسترداد من https://bit.ly/44wrliW

- عبد الستار محمد. (19 جانفي, 2019). قبائل بوركينا فاسو حضارة إفريقية خالصة، مركز الدراسات الإفريقية، يوم: ، على الساعة 17:05. تم الاسترداد من https://bit.ly/3LrELnv
- معلومات. (20 سبتمبر, 2022). معلومات. تم الاسترداد من https://bit.ly/3HT3nEX

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة	أ
المحور الأول: الموقـع والسكـان	
المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي حول مصطلحات القياس.	
1. أصل التسمية.	1
2. أقسام بلاد السودان.	6
المحاضرة الثانية: الجغرافيا الطبيعية.	
1- التضاريس والأنهار.	10
2- المناخ والغطاء النباتي.	**16**
المحاضرة الثالثة: الجغرافيا البشرية.	
1- أصول الأفارقة.	20
2- شعوب بلاد السودان.	21
المحور الثاني: حركة انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.	
المحاضرة الرابعة: دور المشرق العربي ومصر في نشر الإسلام في السودان الشرقي.	
1- انتشار الإسلام في بلاد الحبشة.	38
2- انتشار الإسلام في بلاد النوبة.	40
3- انتشار الإسلام في بلاد البجة الوثنية.	41
المحاضرة الخامسة: دور المغاربة في نشر الإسلام في السودان الغربي والأوسط	
1- التجار	43
2- دور هجرة القبائل العربية والبربرية	44

3- دور الدعاة المغاربة	45
4- الطرق الصوفية	46
5- الدول الإسلامية المغاربية	49
المحاضرة السادسة: دور الأفارقة في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.	
1. الملوك.	53
2. الدعاة الأفارقة.	57
2- الحركات الإسلامية الحديثة	58
المحور الثالث: ممالك السودان الغربي	
المحاضرة السابعة:مملكة غانة	
1- التسمية والموقع	61
2- التاريخ السياسي لمملكة غانة	62
3- الجوانب الحضارية لمملكة غانة	63
4- سقوط مملكة غانة	65
المحاضرة السابعة: امبراطورية مالي الإسلامية	
1- التسمية والموقع	65
2- التاريخ السياسي والحضاري لإمبراطورية مالي	63
3- سقوط امبراطورية مالي	71
المحاضرة السابعة: مملكة الستغاي	
1- التاريخ السياسي لمملكة السنغاي قبل الأسكيين	75
2- التاريخ السياسي لمكلة السنغاي في عهد الأسكيين	76

3- المظاهر الحضارية لمملكة السنغاي	78
4- سقوط مملكة السنغاي	79
المحور الرابع: ممالك السودان الأوسط	
المحاضرة العاشرة: مملكة كانم بورنو	
1- مملكة كانم	80
2- مملكة بورنو	82
3- مملكة كانم - بورنو	83
4- التطور السياسي والحضاري لمملكة كانم بورنو	84
5- ضعف وانهيار مملكة كانم بورنو	85
المحاضرة الحادية عشر: ممالك الهوسا	
1- نشأة ممالك الهوسا	87
2- المظاهر الحضارية لممالك الهوسا	88
المحور الخامس: ممالك السودان الشرقي	
المحاضرة: الثانية عشر: ممالك النوبة والفونج	
1- ممالك النوبة المسيحية	90
2- مملكة الفونج الإسلامية	97
المحاضرة الثالثة عشر: مملكة أكسوم في الحبشة	
1- الموقع الجغرافي	102
2- تأسيس مملكة أكسوم	102
3- التطور السياسي والحضاري لمملكة أكسوم	103
خاتمة:	107

قائمة المصادروالمراجع	109
فهرس الموضوعات	115

تمَّت

بحمد الله وتوفيقه